نزار.. وأنا
أطول قصيدة ا
المحاور
مفيد فوزى

نزار.. وأنا

أطول قصيدة اعتراف





مفيد فوزى

● موضوعـــات الحـــوار

إهداء

إلى أروع طاغية .. عرفته .
إلى ديكتاتور ناعم .
إلى حفيدي شريف حليم
الذي استعجل السنين
الأيام
ليكبر ويقرأ أوراقي ويدرك
أن "جدو" كان مهموما بصناعة
الكتابة ولعله يغفر لي أنه كان
عندي عذر حين كنت أنصرف
أحيانا
عن اللعب معه !
وعندما يشتد عوده الأخضر
وتنتصر التكنولوجيا على العصر
قد تكون "أطول قصيدة اعتراف
لشاعر عربي ، نثره ينافس
شعره" .. نافذة تبوح رومانسية .
متى تكبر لأراك يافعا يا أعز البشر ؟
في صلاتي الصامتة أطلب طول العمر
وذلك
فقط لأرى عينيك تشرب من
كلماتي .. فهل يحقق الله أمنيتي ؟

جدو
مفيد فوزي
صيف ٩٨

● ملاحظة :

لا يحمى الحوار من الضياع والتبخر
إلا ذراعى كتاب
فبين أحضان الكتاب يستقر أطول اعتراف
للشاعر نزار قبانى نشرته «كل الناس»

الاخراج الفنى : **سعيد المسيرى**



أنا لست «سوبرمان»!

«قلت لامرأة جميلة... أنت
لا تلهميني حرفاً واحدا»

أنا لست «سوبرمان»!

« تصل الحميمية بينى وبين القارئ إلى الحد الذى أكشف له غموض اللعبة الصحفية، وأسلط إضاءة خاصة يعرف فيها كل الزوايا، فلا أسرار على قارئ لبيب، وفى نفس الوقت أومن . كما سمعت من الروائى الايطالى الراحل ألبرتو مورافيا . أن كواليس الحديث جزء من الحديث ذاته ينقل بعدسات القلم «الجو والنكهة والانبساط والانكماش والبوح أو اللابوح» وسمعت أيضا من مورافيا . وكنت أحاوره فى روما . أن «أحاديث الكاتب هى عنصر مكمل لإنتاجه، لأنها فى نهاية الأمر هى خلاصة رؤاه فى الحياة والفن والحب والموت».

كنا فى «كل الناس» قد قررنا التحاور مع الشاعر الكبير نزار قبانى، وأوكل لى عماد الدين أديب مهمة (المحاور) ربما لأنى . على حد تعبيره . أملك موهبة «ثقب الصمت» والإبحار فى النفوس البشرية كملاح تروق له «موانى» البشر. ولكن لماذا نزار قبانى؟! عندى حيثيات:».

حوار ما قبل المذكرات:

أولا: إنه الشاعر العربى الأكثر شهرة، النجم الساطع فى السماء العربية، المتوهج الذى يملك أكبر امبراطورية شعرية بعد امبراطورية المتنبى واستطاع أن يفرشها بقصائده من الماء إلى الماء!.

ثانيا: نزار هو الشاعر النجم الذى أحدثت قصائده فى الحب أو السياسة حريقًا هائلاً فى الوجدان العربى، ولا توجد إطفائية فى العالم العربى قادرة على إخماد هذا الحريق! يكفى أن نعرف أن أحد دواوينه (قصائد) طبع ٢٥ مرة!.

ثالثا: إن خصوم نزار ومريديه لهم درجة حرارة واحدة وخصومه من أشد قرائه، أما مريدوه، فلقد صارت دواوينه، هى هدايا المحبين فى المناسبات.

رابعا: إن نزار هو مصور دقائق وتفاصيل العشق المعاصر بجرأة، تهابها بعض الأجهزة العربية المكلفة برقابة الكتب ودواوين الشعر، ومع ذلك قام «الفاكس» خلسة بإرسال القصائد الممنوعة إلى المخادع وغرف النوم. كل قصائد نزار ـ والسياسية على وجه التحديد ـ «بركان أدبى مازال حتى هذه

اللحظة يلقى بالحمم فى السهول والأودية العربية، على حد قول الناقد الكبير شاكر النابلسى.

خامسا: نزار لم يبلغ «سن اليأس الشعرى» (من مواليد عام ١٩٢٣) معطاء يعيش عصره ويشهد عليه.

●●

وإذا كان الأستاذ نزار قد كتب قصته مع الشعر على امتداد ٥٠ عاما أو تزيد.. فمازال لديه الكثير من «التفسيرات» و«الايضاحات» و«الشروحات» فقط يحتاج إلى نبش ذكى واقتراب حنون وصيغة مبتكرة للسؤال، فقد أجاب نزار قبانى على آلاف الأسئلة والتساؤلات، ولكنه يفضل أكثر أن يكتب بنفسه قصته قبل أن يكتبها أحد غيره، هو القائل (لا أريد أن يخترعنى أحد)! ورغم حصيلة الآراء للشاعر نزار فقد جربنا أن نقتحم خلوته فى شقته الأنيقة بشارع الموضة الشهير فى لندن (سلون سكوير).

وأصر عماد أن نقيم فى فندق قرب شقة نزار فكان (شيراتون بارك أوتيل) الفلكى الأسعار حتى فى نهايات الأسبوع! أتذكر وأنا أتكلم معه فى التليفون أن

قلت له:

«فرصة أن أرى الموضة الرجالى فى الحى الذى تسكن فيه، لأقترب من أناقتك».

رد نزار وقال:

إنه ليشرفنى أن أكون أول شاعر ينهى أسطورة الشاعر الشحاذ.

قلت: نريدأن نتحاور مع العقل النادر وقبيلة الشعر المتحركة لنصل معك، - عبر حوار متفجر - إلى ماخلف النقاب والحجاب!

ضحك نزار قبانى وقال: هذا عمل أمنى!

عدت أقول:

إذا كنت بقصائدك تشعل الحريق فى الوجدان العربى، فماذا يمنع الغور فى أعماقك.. لقد أعددنا لك - فى «كل الناس» أكثر من مائة وخمسين سؤالا.. (عماد أديب وأنا) هل أتجاوز قدرى كمحاور إذا كنت أريد (أطول قصيدة اعتراف لنزار قبانى) ؟.

قال نزار بسرعة خاطر:

أنت تمارس مهمة الكهنة!.

قلت بنفس الإيقاع:

اعترافاتك لكاهن كبير المقام هو الجمهور.

قال نزار:

فى هذه الحالة، لا أعتذر عن لقاء هذا الكاهن، بل أرحب به، وأحب أن أضيف لك أنه إذا كان هناك ثمة احتفاء بى فى أى بلد عربى، فهو ليس لى، إنه للشعر.. صدقنى!.

قلت:

من أجل هذا سنجىء لك، احتفاءً بشاعر كبير أصابعه مبصرة للحب والحرب!.

ضحك نزار- عبر التليفون - وقال:

أنا لا أستطيع بالمناسبة إلا الكتابة بعشر أصابع، وأحيانا بأحد عشر إصبعا، وبعض الأنظمة العربية تطلب منك أن تكتب بنصف أصابعك فقط!.

بعد ثوان، سمعت نزار يقول: أين ذهب صوتك وإيماءاتك وكلمة (نعم) التى تفتح بأدب مسام من يتكلم معك؟.

قلت له:

انشغلت عنك ثوانى حيث دونت فى مفكرة الأسئلة المتفجرة نقطة (الأصابع والشعر) . لقد كان د. زكى نجيب محمود يقول: إن اليد هى صانعة الحضارة، وأنت تعترف لى أن الأصابع التى تتلقى إشاراتها من عقلك صانعة الشعر.

قال نزار: اسمع، قصائدى العاطفية ترقد على صدور المحبين وفوق رفوف قلوبهم، وقصائدى السياسية بما فيها قصيدة بلقيس صارت حزب معارضة، تجاوزت الأشخاص وصارت قضية.

●●

لا أعرف لماذا طافت أمامى صورة بلقيس التى كانت تربطنا (زوجتى وأنا) بها علاقة عائلية حميمة. تذكرت بطاقة نزار التى أرسلها لى من بيروت عشية رحيل بلقيس المفاجئ ردا على برقية عزاء مطولة.

كتب لى نزار يقول:

(أخى مفيد. حين ماتت بلقيس، أيقنت جيدا أنه ما كان فى الإمكان أن تموت امرأة مثل بلقيس ميتة طبيعية، هى الآن تنام وفى حراستها مجموعة مختارة

من القادة الفلسطينيين الذين أدوا دورهم واستشهدوا، ومكتوب على قبرها: الشهيدة بلقيس الراوى).

أخذت أفكر فى صدمات نزار قبانى (انتحار أخته، موت ابنه، استشهاد زوجته) لكنه فى النهاية رحلات إلى المجهول!.

زمن طويل، أعرف أن نزار كان الموت ينام معه، فى الستائر وعلى النوافذ وفى الممرات والكراسى والأمتعة.. ولكنه قال لى مرة (احتجبت بلقيس وأنا فى حاجة إليها فى هذا الوقت بالذات. إذ لا أعرف شيئا أحتاج إليه فى حياتى قدر شىء اسمه الطمأنينة). وفى كل مرة ألتقى بنزار تزور جلستنا بلقيس ونتكلم عنها وأعتذر عن الحديث عن (الموت). ومرة شخط فىّ نزار وقال: اسمع مفيد، فى أمريكا الآن مدارس خاصة تأخذ الأطفال الصغار (٧ سنوات) إلى المقابر ومعهم الزهور، لا تندهش وتتسع عيناك! هذا يحدث،والأساتذة يشرحون ويتكلمون عن الموت، إنه صديق، ويوما ما سوف نلتقى به، إنهم يزرعون فكرة التآلف مع الموت، وصدقنى أن التعايش مع الموت سوف يحل كثيرا من قضايانا.

عادة، فى الطائرات أقضى الساعات إما (مثرثرا) مع من يجلس بجوارى، أو (التفكير فى مهمتى)، التى تسكننى غالبا، إذا ما سافرت فى مهمة صحفية، وإلا كان رفيقى كتبًا ومعلومات قبل هبوط الطائرة أرض البلد، وماسافرت لمقابلة شخصية أحاورها. إلا وطفت بذهنى فى عالمه ودنياه وشئونه وشجونه!.

●●

صباح يوم بارد يغازل المعاطف الثقيلة. كنا ندق على باب شقة نزار وفتح لنا الشاعر الكبير الباب وقالت الشغالة العربية بلهجة حميمة: اتفضلوا، قال نزار فى ود بالغ (أهلا بالفرسان).

حين جلسنا فى صالون بيت نزار الذى أعرفه جيداً، شخلل فاروق إبراهيم فى ماكينات التصوير التى يحملها معه من القاهرة، كاميرات وعدسات تقرب البعيد وإضاءة خاصة، و«عدسة» خاصة وراء كل هذه الأجهزة، عدسة متميزة هى عينا فاروق إبراهيم.

وقلت للشاعر نزار قبانى: إن فاروق إبراهيم هو مصور الرؤساء والنجوم. لقد كان قريبا من الرئيس السادات، وعمل مصورا صحفيا فى الرئاسة قرب الرئيس

مبارك. وكان مصور أم كلثوم الخاص، ورافقها في كل رحلاتها خارج حدود مصر، وكان مصور العندليب عبد الحليم حافظ.

رد نزار:

أنا أعتبر الفرح عقيماً! الفرح ليس مصدراً من مصادري كشاعر، قصيدتي تبدأ حين أنزف عشقاً، الشاعر يبحث عن دراما، أنا في ذروة الفرح يخطر على بالي التراجيديا.

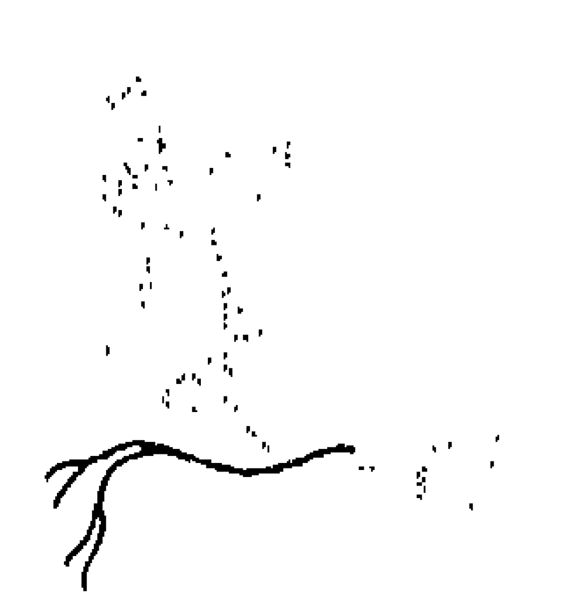
خطر ببالي سؤال مفاجئ:

أستاذ نزار المرأة أم القصيدة ؟.

وسكت نزار لمدة ثوان..

وقال:

دعني أفكر مادمت تسجل حديثنا وأنت تسألني في مقتل!.





دمشق : الأنثى الأولى!

« من عصافير الطفولة
لم يبق أحد! »

دمشق الأنثى الأولى!

«يترك الكاتب الكبير نزار قبانى هذه المرة ديوان أشعاره.. ويعود إلى دفتر ذكرياته، ليبدأ معنا أطول قصيدة اعتراف.

كشف نزار الكثير عن بداياته فى فضاء الشعر. عن علاقته بأمه وأبيه، عن محبوبته الأولى: دمشق، عن رأيه فى العطر والشعر والمرأة".

الخروج إلى الحرية:

قال نزار قبانى وهو يستعيد شريط الذكريات:

٢١ آذار (مارس) ١٩٢٣..

يعنى لى الكثير.. يعنى الخروج من رحم أمى المحدود، إلى أبعاد بلا حدود، ومن المعتقل الإجبارى الذى سجننى به أبواى لمدة تسعة أشهر.. إلى الهواء الطلق، ومن الاستعمار الجميل الذى يطلقون عليه اسم الأمومة، إلى فضاء الحرية، ومن السائل الرمادى اللون الذى كنت أسبح فيه.. إلى بحار مشغولة بالذهب، والفيروز، وألوان قوس قزح..

يوم ٢١ آذار هو يوم الإفراج عنّى.. من قفص الحلم الذى كنت أتململ بين جدرانه..

هو تحولى من جنين متكوم على نفسه، إلى عصفور يريد أن يجرب قدرته على السفر،وقدرته على التحدى والاكتشاف، وقدرته على مواجهة الريح والمطر.

لا يهم اليوم الذى ولدت فيه، سواء كان الخميس، أو السبت، أو الأحد..

فأى يوم يعطينى حريتى، يكون يوم ولادتى.

أبى وأمى اشتركا فى كتابتى،، كل واحد منهما بأسلوبه، أبى كتبنى بأحرف من نار.. وأمى كتبتنى بأحرف من ماء.. هو كان الزلزال.. وهى كانت الحمامة.

هو كان العاصفة.. وهى كانت شجرة الياسمين..

هو كان تشى جيفارا.. وهى كانت مثل رابعة العدوية.

ومن هذا المزيج الذى لا يمتزج.. خرجت أنا أحمل فى دمى شيئا من الأهازيج البدوية، وشيئا من الحضارة الأموية، وشيئا من الموشحات الأندلسية، وشيئا من الأساطير البابلية، وشيئا من الطموحات الفينيقية.. وشيئا من الفسيفساء الدمشقية.. وشيئا من أغانى الحب الفرعونية.. وشيئا من إيقاع الطبول الأفريقية.

صخرة... الشعر

كانت كل القوافل المسافرة من دمشق إلى الصين تتلاقى على جسدى.. وكنت أرى أن قصائد الحب لا علاقة لها بالعرق، أو اللون، أو بالجنسية.. وأن

العشق يجعل من نساء العالم امرأة واحدة.. من ليلى العامرية، إلى كارمن الأسبانية، إلى جانين الفرنسية.. إلى انجريد السويدية..

لى ثلاثة إخوة هم معتز، ورشيد، وصباح. وأخت واحدة هى هيفاء.

الأخ الأكبر معتز يعمل فى التجارة، ورشيد وصباح وأنا عملنا فى الحقل الدبلوماسى، ثم انصرف صباح إلى هوايته فى التصوير الفوتوغرافى، وانصرف رشيد إلى العمل الحر. أما أنا فاعتبرت أن قدرى الأول والأخير هو أن أكون شاعراً.. ولقد دفعت من جراء اختيارى ثمنا باهظاً.. وحملت كسيزيف صخرة الشعر على ظهرى خمسين عاما..

ولا أزال أحمل الصخرة.. وأحمل معها مائتى مليون عربى حتى أوصلهم إلى قمة الحضارة، وقمة الثورة، وقمة الحرية..

حجاب.. أبي!

سألت نزار قبانى:

● **هل كنت طفلا مدللاً؟**

قال: كانت أمى هى الوحيدة التى تنحاز بصورة سرية لأعمالى التخريبية.. وترى فيها نوعًا من (الحداثة).. ولكن الباقين كانوا يخالفون وجهة نظرها، ويعتبروننى كارثة على الأسرة، وعلى المجتمع، وعلى نفسى.

وعندما عرف أبى ذات يوم أننى أرتكب كتابة الشعر.. قال لأمى: أخشى أن عفريتاً قد ركب هذا الولد.. فخذيه غداً إلى بيت أقرب شيخ ليبخره.. ويكتب له حجاباً يحميه من زيارة العفاريت..

بعد نصف قرن على ماقاله أبى عنّى، لايزال عفريت الشعر يركبنى.. ويمد رجليه.. كما أن كل جلسات التبخير.. وكل الحجابات التى وضعوها حول عنقى.. لم تطرد عفريتاً واحداً من رأسى.. لأن عفاريت الشعر العربى على ما مايبدو أصبح لديها مناعة قوية. ضد كل الحجابات.. وضد كل الخرافات.. والأنتيبايوتيكس..

فى سن السابعة ذهبت إلى المدرسة لأول مرة، وهى (الكلية العلمية الوطنية) فى دمشق.

لم أبك عندما أخذونى إلى المدرسة. ولكن التى بكت هى أمى.. ولو أن إدارة المدرسة كانت تسمح للأمهات بمرافقة أولادهن إلى المدرسة، لما ترددت أمى لحظة واحدة فى تسجيل نفسها فى قسم الحضانة، والجلوس معى على مقعد واحد..

عصافير الطفولة

فى المدرسة لم أكن متفوقا، ولا لماحا، ولا فلتة زمانى.. كنت أنتقل من صف إلى صف بسرعة السلحفاة.. وعندما كنت أجد اسمى بين أسماء الناجحين، كنت أعتقد أن الذى نجح.. هو نزار قبانى آخر..

من عصافير الطفولة، ومن صداقاتها.. لم يبق أحد.. بعضهم تقاعد.. وبعضهم تعب من الطيران.. وبعضهم حمل أحلامه وذكرياته وأولاده.. وطار إلى المنفى.

الطفولة فيلم سينمائى أخاف أن أشاهده وأنا جالس وحدى.. لأنه أقرب شىء إلى أفلام العبث واللامعقول، ولا يخطر ببالى أبدا أن أرجع إلى ألبوم الطفولة.. لأنه يفتح علىّ أبواب الجحيم.. ويعيدنى إلى زمن لم يعد استرداده ممكناً.. وإلى بيت دمشقى لم تعد مفاتيحه معى.. وإلى حبيبات غرقت أسماؤهن فى مياه الذاكرة..

إننى لا أحاول أبداً أن أتحرش بالتاريخ.. ولا أن أقف على أطلال هند، ودعد وليلى، ولبنى، وفاطمة، ومريم.. فزيارة متاحف الشمع ليست إحدى هواياتى...

قصيدة.. شوكولاتة!

.. لا أنسى أبدا.. المدرسين الذين لعبوا دوراً حاسماً فى حياتى الشعرية. كان أعظمهم الأستاذ خليل مردم بك، لأنه جعل الشعر بالنسبة لى نزهة فى ضوء القمر، وحوّل كل قصيدة. شعر، جاهلية، أو أموية، أو عباسية، إلى (قطعة شوكولاتة).

إن تدريس الأدب العربى للطلاب، فن قائم بذاته، يعتمد على التشكيل الإبداعى، والثقافى، والحضارى للمدرس.

فثمة مدرس يجعل حصة الأدب حديقة تموج بالأخضر، والأحمر، والبنفسجى، وثمة مدرس يجعل حصة الأدب مسيّجة بالخوف، كجلسات المحاكم العسكرية.

أما المواد التى كنت أحبها، فهى المواد التى كانت تترك لى هامشًا للحرية.. ولا تقمعنى بأرقامها، وجداولها، وخرائطها، وإحصائياتها.. كالحساب، والجبر، والفيزياء، والكيمياء.

كنت أحب كل مايثير مخيلتى كالرسم، والخط، والموسيقى والرحلات الكشفية، والمسيرات الطلابية، التى كانت فرصتى الأولى لتدريب حنجرتى على الصراخ، والاحتجاج، وكسر أبواب (التابويات) و(الجيتويات)..

حبيبتى .. دمشق

سألت نزار قبانى:

• دمشق.. أين أنت الآن منها؟

قال:

دمشق هى الرحم الأول، والحب الأول، والأنثى الأولى..

فيزيولوجياً.. أنا محصول دمشقى. كالمشمش، والتفاح، والياسمين والورد البلدى.. وحمام المساجد..

وفولكلورياً، أنا جزءٌ من (الجامع الأموى) ومن (سوق البزورية)، ومن (سوق الصاغة) و(سوق النحاسين) و(سوق الحرير) و(سوق النسوان).. وجزء من رائحة (الغوطة) ورائحة التوابل.. ورائحة الصابون المنبعثة من الحمّامات الشعبية.

ثم أنا جزء من ثقافة الشام. ابتداءً من أبى فراس الحمدانى.. إلى أبى العلاء المعرى، إلى ديك الجن الحمصى، إلى محمد كرد على، إلى بدوى الجبل، إلى عمر أبى ريشة، إلى رائد المسرح العربى الشيخ أحمد خليل القبانى.

دارنا فى حى (مئذنة الشحم) بدمشق، لاتزال موجودة (هندسيًا).. ولكنها غائبة روحيا وحضاريا وجماليا..

فى آخر زيارة لبيتنا الدمشقى، قبل أعوام اكتشفت أن المنازل هى سكانها.. فحين يرحل السكان لا يبقى من المنزل سوى الحيطان، والحجارة.. وغبار الأيام..

أمى هى الامبراطورة التى جعلت من بيتنا فى (مئذنة الشحم) بستانا.. وحين ارتحلت أمى، حملت معها صحائف الفل والياسمين، وأشجار الليمون والنارنج، وسجادة صلاتها، ومسبحتها، وشراشف أسرّتنا البيضاء.. وعلبة الموازييك التى كانت تقدم بها الملبس للضيوف.

برحيل الامبراطورة (فائزة قبانى).. سقطت أعمدة الامبراطورية القبانية المصنوعة من بياض الياسمين.. ورفيف أجنحة السنونو.. وإيقاع نافورة الماء، ومواء القطط.. وابتدأت عصور الانحطاط..

قارورة... شعر!

● قلت:

أن هذه الدار كانت قارورة عطر.. وسريراً أخضر.. هل يتعطر نزار قبانى؟.

قال:

العطر الوحيد الذى أتعطر به (الشعر) لأنه عطرٌ معصور من أزهار الحب، وأعشاب الحنين. كل العطور الأخرى المصنوعة فى باريس عطور مؤقتة.. وتتبخر بسرعة..

أما المرأة التى تتعطر بقصيدة.. أو تغسل جسدها بمسحوق الشعر.. فإن جمالها سيبقى أبدياً.. لأنها تربط مصيرها بمصير واحد من أرقى الفنون الانسانية وهو الشعر..

إن أجمل هدية يمكن أن يقدمها العاشق لامرأة يحبها، بمناسبة يوم ميلادها، ليست قارورة عطر من عند شانيل، أو نينا ريتشى.. وإنما.. كتاب شعر.



العقوبة الأكبر

"كل الأعمال العظيمة
كانت في بدايتها لعبا!"

العقوبة الأكبر!

باسئلة محددة لا غموض فيها، احاول ان اقرأ كف نزار قباني. ولست من هواة الغوص في المجهول، ولا احب ان يقرأ احد كفي ولا يقرأ أيضًا فنجاني ولم افتح المندل يومًا ما!

ولكني اعترف اني أدمن قراءة كف المشاهير بنوعية من الأسئلة تنفذ من المسام وتقتلع الإجابات من الصدور. وفي بعض الأحيان اكتشف أن الجرح . أي جرح . في الشخصية ربما مازال . رغم السنين . أخضرا ونزار قباني . شاعرًا . بسيط إلى حد التعقيد، ومعقد إلى درجة البساطة. والسؤال عند نزار، يغريه بالبوح!

الضحايا فى ذاكرتى.. حتى اتخذت قرارى التاريخى بالوقوف إلى جانب المرأة.. والقتال معها فى خندق واحد.. حتى تسترد كرامة عقلها.. وكرامة جسدها.

المجنون الوحيد!

قلت لنزار قبانى:

- **ماذا كان يعنى لك (اللعب)؟**

المتعة، الانبهار، أم الاكتشاف؟

قال:

اللعب عندى هو الاكتشاف.

وكل الأشياء التى لعبت فيها فى طفولتى تحولت إلى بساتين من الألوان، والخطوط، والتشكيلات الشعرية.

الطفل الذى يلعب بصدفة على شاطئ البحر... لايقوم بعمل عبثى، وإنما يحوّل الصدفة بخياله إلى حاملة طائرات.

والفتاة التى تمسك بأصابعها وردة.. إنما تمسك بذراع رجل الأحلام.

والشاعر الذى يلعب بالكلمات والأوزان، يحاول دون أن يدرى تغيير حركة الكرة الأرضية.

كل الأعمال العظيمة كانت فى بدايتها لعباً..

بيكاسو أخذته لعبة التكعيبية.

ودالى أخذته لعبة السريالية

وسارتر أخذته لعبة الوجودية

وبيتهوفن أخذته لعبة الإيقاع

ومايكل أنجلو أخذته لعبة الصلصال..

وسيد درويش أخذته لعبة الموج على شواطئ الإسكندرية.

والمتنبى أخذته لعبة الكبرياء.. حتى قتله كبرياؤه.

● المرة التى عوقبت فيها ولا تغادر ذهنك ذكراها.

ـ العقوبة الأكبر، كانت يوم نقلونى لأعمل دبلوماسيا فى جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٥٨.

فخلال سنتين قضيتهما هناك

كنت أتكلم بلغة صفراء.. وأضحك ضحكة صفراء.. وآكل رزاً أصفر وأشرب شاياً أصفر... وأنام على سرير أصفر.. وأكتب على ورق أصفر.. حتى نسيت أن في العالم ألواناً أخرى.

● هل تميز أحد من إخوتك عليك؟ وهل ترك فيك هذا أية عقدة؟

ـ في العائلة كنت المجنون الوحيد الذى أصابته لوثة الشعر. لذلك لا أشعر بأية عقدة نقص أو تفوق.

سألت نزار قبانى:

● هل صادقت الحيوانات فى طفولتك؟ قطة.. كلب.. ببغاء؟

قال نزار:

الكائن الجميل والوحيد الذى أحببته.. هو المرأة .. ورغم أنها أشبعتنى .. خربشة.. إلا أننى ظللت أحبها.

أحلام الكاوبوى!

● مم كنت تخاف فى سنوات عمرك الأولى..

ثم ذاب هذا الخوف مع الوعى؟

ـ كنت أخاف من معلم الرياضيات .. وطبيب الأسنان ورجال الشرطة .. ولا أزل أخاف منهم حتى الآن.

● طفولة مَنْ مِنْ ساسة العالم، تود أن تعرفها، وما الأسباب؟

ـ أريد أن أعرف شيئا عن طفولة الخليفة عمر بن الخطاب .. ومن هى مربيته؟ ومن هم أساتذته؟ وما الكتب التى كان يقرؤها .. وما اسم المدرسة التى كان يذهب إليها .. لأننى أريد أن أرسل زعماء العالم العربى إليها كى يتعلموا الديمقراطية.

قلت لنزار قبانى:

● هل هاجرت الطفولة من صدرك؟

هل ذابت الدهشة؟

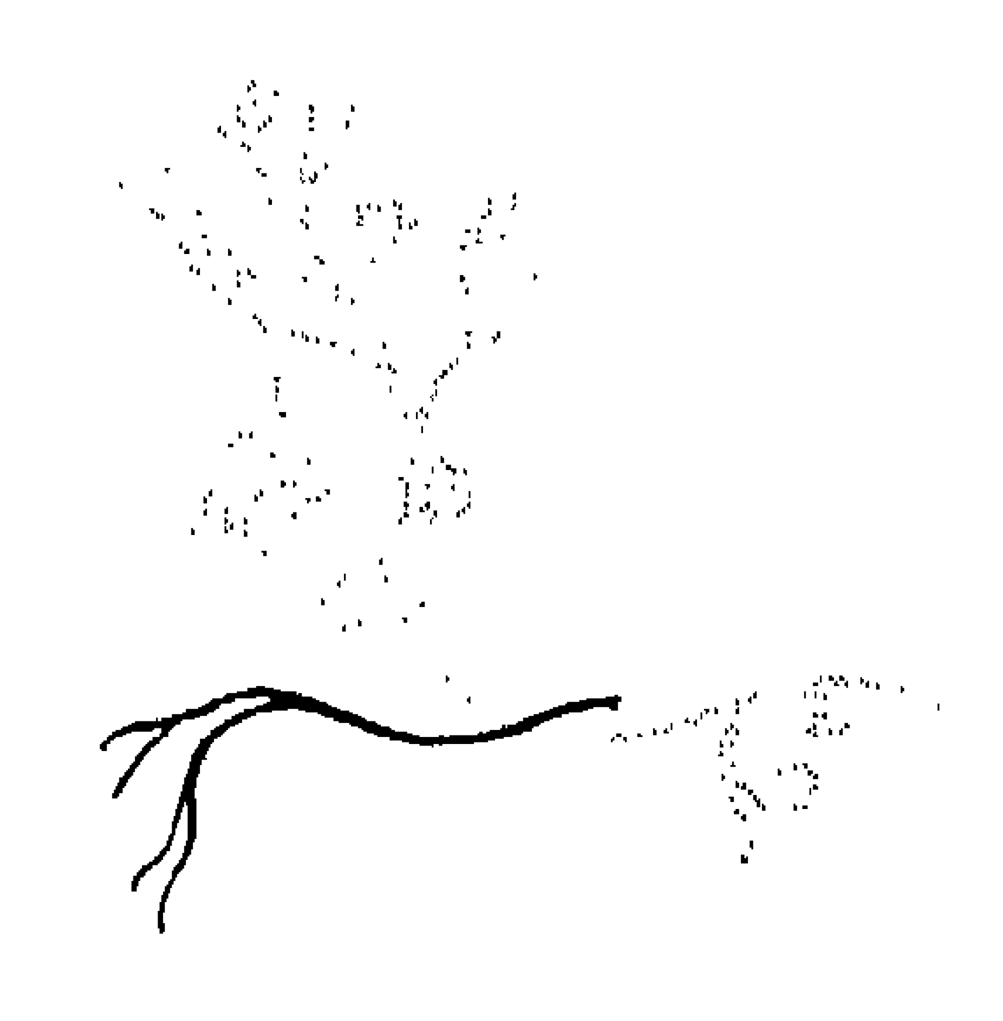
قال نزار :

يوم ترحل عنى طفولتى لن يبقى منى شىء .. ويوم تتوقف قصائدى عن إحداث الدهشة .. فاقرأ عليها السلام.

● هل كانت أحلام الكاوبوى تجذبك.. أم ماذا؟

ـ لا يحرك الكاوبوى الأمريكى شعرة واحدة منى.. فهذا الكاوبوى بدأ بالسطو على الحانات.. والمزارع.. وقطع الطرقات، وحرق المحاصيل، وإبادة الهنود الحمر.

وهاهو اليوم فى ظل النظام العالمى الجديد الذى اخترعه.. يفتش عن بلاد أخرى يستعمرها، وهنود حمر أو سمر آخرين.. يقطع نسلهم، ويمحو سلالاتهم.





امرأة لا تكرر نفسها!

« بلقـيس هى كنز عظيـم
عثـرت عليـه مصـادفة! »

امرأة لا تكرر نفسها

«أنا من عشاق نثر نزار قباني، وأشعر أن نثره فيه الكثير من نبرة الشعر. وحين يجيب نزار عن سؤال ويجلس ليمسك القلم وأمامه الأوراق، يحس أن فكرة قصيدة جديدة تغازله، ولكنه ينتبه أنه مطالب بالإجابة عن سؤال يمس أوتار أعصابه العارية فيرد، وبخطه الجميل يسجل بيتا . بالنثر. في قصيدة اعترافه الطويلة! إنها فصل من «ديوان» حياة الشاعر الكبير، يرسمه بأصابعه، لا بأصابع الآخرين!»

● سياحتك العاطفية الطويلة..

هل تعنى أن امرأة واحدة لا تكفى..؟

ـ الشاعر كالمصور الفوتوغرافى لا يمكنه أن يكتفى بلقطة واحدة، أو مشهد واحد.. وهو أيضاً كالصحافى لايمكنه أن يحمل كل يوم إلى جريدته ذات الخبر.. وإلا طردوه.. ولو أننى ارتبطت طول حياتى بامرأة واحدة.. لما كتبت إلا قصيدة واحدة..

● شهريار فى رأيك لم يكن قاتل نساء ولازير نساء، كان فناناً.. وإنساناً.. وكان يبحث فى أعماقه عن امرأة واحدة تحبه لذاته..

هل هذا رأى فى المرأة؟

ـ هذا رأى فى المرأة والرجل معاً، فالرجل لايبحث فى الحب عن جثة يمارس معها علاقة حميمة.

إنه يبحث عن امرأة لاتكرر نفسها كاسطوانة مشروخة.. ولايتوقف جسدها عن طرح الأسئلة.. وفكرها عن إرسال الشرارات..

ولأن شهرزاد تركت شهريار معلقاً على حبال الأسئلة.. ولم تعطه نفسها إلا (بالقطارة).. فقد نجت من السيف المعلق فوق رأسها.. هذا درس لكل النساء

حتى يتعلمن كيف يحتفظن بأوراقهن.. ولا يسلمن مفاتيح غرناطة لأول رجل يطرق الباب.

كل الجراح.. تلتئم

سألت نزار قباني:

● تعترف بأن النساء اللواتي أحدثن كسراً في زجاج حياتك لايتجاوز عددهن أصابع اليد.. أما الباقيات فلم يتركن سوى خدوش بسيطة على سطح جلدك.

الخدوش البسيطة اندملت. فماذا عن الزجاج المكسور.. أما تزال شظاياه في القلب؟

قال نزار:

من نعمة الله على الإنسان أنه منحه نعمة النسيان، فلو أن كل امرأة تركت في أعماقنا جرحاً ينزف.. لتحولت الحياة إلى مذبحة.

كل الجراحات، كبيرها وصغيرها، لابد أن تلتئم، هذه هي شريعة الحياة حتى تستمر الحياة.. وهذه هي أيضاً شريعة الفن، لأن الفنان إذا سقط تحت عربة الأحزان فلن يقف على قدميه أبداً.

إن رحيل امرأة عن حياتنا (أو رجل لافرق) لايمكن أن يعتبر نهاية للكون.. لأن الإنسان قادر في كل لحظة على الانبعاث في رماده كطائر الفينيق.

إن الشعر أعطاني من المناعة النفسية والفكرية ماسمح لي بالبقاء Sur-vival.

فالفن بحد ذاته قوة خارقة تجعلنا نسمو على جراحنا ونزيفنا، بحثا عن آفاق جديدة.. وكشوف جديدة.

• وبلقيس.. كيف، وأين، ومتى عرفتها؟

ـ بلقيس هى كنز عظيم عثرت عليه مصادفة، حين كنت أقدم أمسية شعرية فى بغداد عام ١٩٦٢.

• كيف تطورت قصة الحب؟

وكيف جاء قرار الزواج؟

ـ قصتنا، ككل قصص الحب فى المدن العربية، جوبهت بـ (لا) كبيرة جداً.. تشبه لاءات الخرطوم.

كان الاعتراض الأقوى على (تاريخى الشعرى)، وكانت مجموعاتى الغزلية وثائق أشهرها أهل بلقيس ضدى.. والقبائل العربية كما نعرف لاتزوج بناتها من أى شاعر تغزل بإحدى نساء القبيلة..

ولما يئست من إقناع شيخ القبيلة بعدالة قضيتى.. ركبت الطائرة وسافرت إلى أسبانيا لأعمل دبلوماسياً فيها لمدة ثلاث سنوات. وخلال هذه السنوات الطويلة كنت أكتب لبلقيس، وكانت تكتب لى.. رغم أن بريد القبيلة كان مراقباً..

قلت لنزار قبانى:

● **هل يصبح الحب مهنة؟**

قال نزار:

ـ الحب لايصبح مهنة أبداً، إلا لدى (الدونجوانيين) و (الشهرياريين).. الذين يرتزقون من اللعب على حبال النساء.. واللهو بعقولهن وأجسادهن.. إن تحويل الحب إلى حرفة يومية.. كالنجارة.. والسباكة.. والحدادة.. والصيرفة.. والمقامرة على الخيول الرابحة.. يجعل الرجل تاجر خردوات.. لايعنيه سوى الربح.. وزيادة رأس ماله.. الحب هو أن نبدأ دائماً من نقطة الصفر.. وأن نكون دائماً فى حالة دهشة.. وانبهار.. كأن المرأة التى نلاقيها هى المرأة الأولى، والكلمات التى نقولها هى الكلمات الأولى.. والموعد الذى نذهب إليه هو الموعد الأول..

الحب هو أن (نخترع) المرأة التى نحبها كلما رأيناها.. وأن نقرأ عينيها كأننا نقرأ كتاباً جديداً.. وأن نتعامل مع فمها كأننا نتعامل مع وردة..

• بدورك هل كنت صاحب طريقة فى الحب، فى تلك السن المبكرة؟

ـ نعم.. كنت صاحب طريقة (مودرن).. والدروس التى أعطيتها لحبيباتى كانت دائما فى الهواء الطلق.. أى تحت شجرة ياسمين.. أو تحت عريشة عنب.. أو تحت ضوء القمر.. أو أمام نافورة ماء..

إننى غير متحمس للحب الذى يدور فى الغرف المغلقة، فالعاشق الحقيقى لا يلبس طاقية الإخفاء.. وإنما يتصرف كأمواج البحر، والبرق، والرعد، والأمطار الاستوائية.

هذا الإحساس بعلنية الحب، انتقل بعد ذلك إلى شعرى، حين رفضت فى قصائدى العاطفية، أن أستعمل الأقنعة.. وألجأ إلى الإشارات والرموز.

• تجاربك العاطفية الأولى.. هل تتذكرها؟ وهل تسميها حباً؟

ـ من الصعب جداً أن تعتمد على ذاكرتى الغرامية، لأن النحل لا ذاكرة له.. وأنا لا أسمى تجاربى العاطفية الأولى حباً.. ولكنها مرحلة من مراحل اكتشاف اللون، والطعم، والرائحة.. والأنوثة.. وكروية الأرض!!.

الرجل لايتذكر هزائمه!

• كم مرة أحببت؟

ـ هذا سؤال مخابراتى.. أرفض الإجابة عنه.

سألت نزار قبانى:

• تقول إنك فى أكثر تجاريك العاطفية كنت القتيل لا القاتل.. كيف؟

قال نزار:

ـ من طبيعة الرجل أن يتذكر انتصاراته النسائية.. ولايتذكر هزائمه. وأنا واحد من هؤلاء الرجال الذين كانوا يملأون صدورهم بالأوسمة.. ويدعون أنهم انتصروا فى كل المعارك التى خاضوها.. لذلك قررت ذات يوم أن أعقد مؤتمراً صحفياً.. أعلن فيه أن نصف أوسمتى كانت من تنك (صفيح) ونصف سيوفى كانت من خشب.. وأن (السبايا) اللواتى أسرتهن خلال غزواتى.. هن اللواتى أسرننى.

• ماذا تحب فى المرأة؟

ـ لا أهتم بالمقاييس العالمية لجميلة الجميلات.. إنها ليست حقيقية.. ولا ممكنة.. ولا مريحة.

الجمال الفاضح يتعب صاحبته، ويتعب الآخرين.. لايمكنني أن أحب امرأة يحبها معي مليون مشاهد على التليفزيون.. مثل هذه المرأة لا تخصني.. ولاتثيرني.. ولا تشكل جزءاً من أحلامي.

لا أطيق امرأة تجتاحني بفتنتها.. بل أبحث عن امرأة تأخذ شكل الأم.. وشكل الصديقة.. وشكل الحمامة.. في الوقت ذاته..

أبحث عن صدر رحيم أنام عليه.. لا عن زلزال يبعثرني مليون قطعة..

• كيف تتعامل مع إعجاب النساء بشخصك أو بشعرك؟

ـ أتعامل بشكل طبيعي جداً.. وديمقراطي جداً.. ولم أحاول مرة أن آخذ (بوزا) مسرحياً.. أو سينمائياً لأؤكد أهميتي.. أو نجوميتي..

إنني أكره الاستعراضية بكل أشكالها.. وأجلس مع الناس على أرض الشعر، بغير كلفة، ولا بروتوكولات، وأتصرف بكل بساطة وأحاول دائماً أن أكون شبيها بشعري..

قلت لنزار قباني:

• ألا تعتقد أن القارئات يظلمن الشاعر إذا توقعن منه أن يكون رومانسياً ٢٤ ساعة في اليوم؟

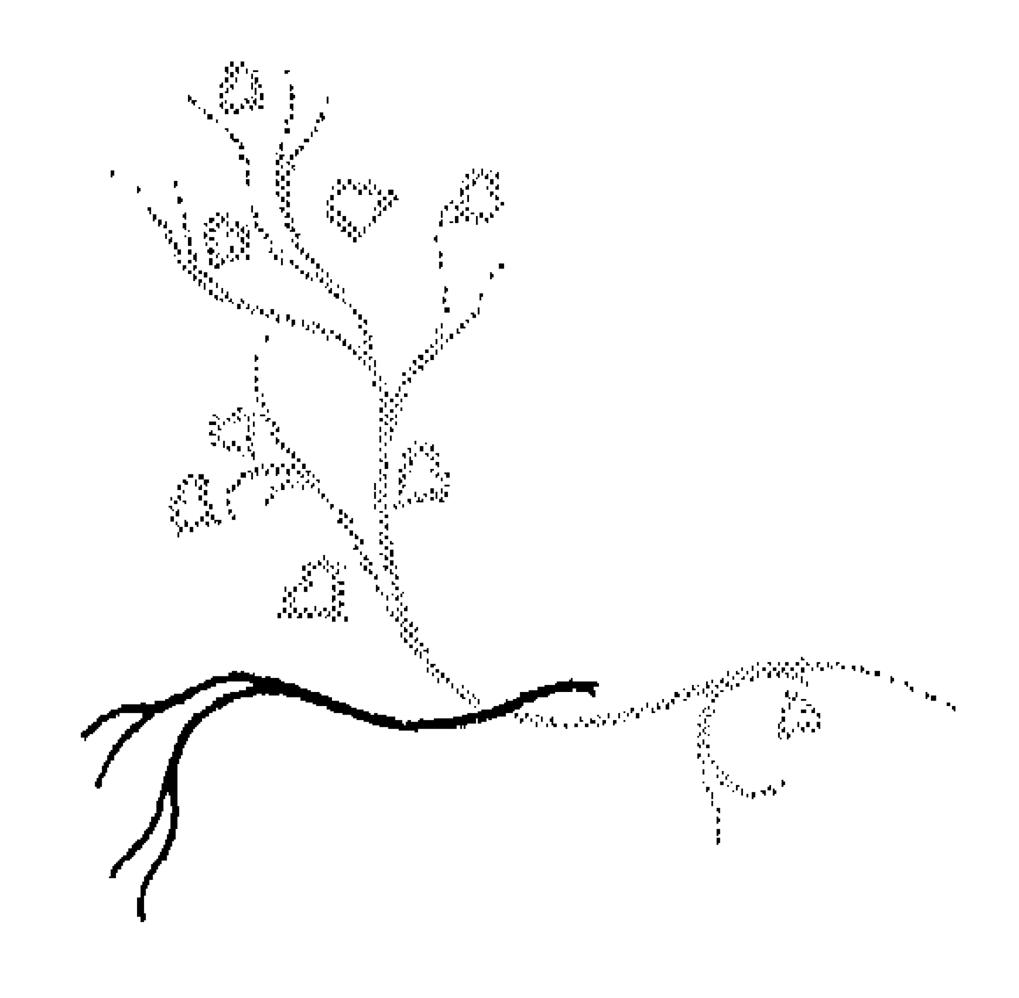
قال نزار:

ـ النساء اللواتي يطلبن هذا من الشاعر يجردنه من إنسانيته، ويحولنه إلى (موديل) من الشمع موضوع في فيترينة.. أو إلى (سوبر- عاشق).. أو إلى صيدلية خفر.. أو إلى رجل إطفاء مستنفر ٢٤ ساعة في الـ ٢٤ ساعة لإطفاء الحريق.. حريق الحب..

درس.... شهرزاد

● أنت مع حرية المرأة اجتماعياً.. وإلى أي حد؟

ـ أنا مع حرية المرأة حتى آخر نقطة حرية.. شريطة أن تبقى محتفظة بكرامتها الاجتماعية، والإنسانية، ولاتتحول إلى خرقة.. أو ممسحة..





" حاولت بقصائدى خلال ٥٠ عاما
أن أكسر أبواب المعتقل النسائى! "

القصيدة...
لا تعرف الجلوس!

هناك أسئلة تضرب على أوتار الأعصاب العارية. وهناك أسئلة تغلق المسام المفتوحة المستعدة لأحلى صدام بين شاعر ومحاور!

ونزار وهو يكتب بخط يده إجاباته عن الأسئلة يستفز ذاكرته وكأنه يكتب فى الواقع قصته مع الشعر، ولغة نزار النثرية منسابة كجدول ماء عذب يشرب منه الوجدان.

ونزار الذى يعيش - وحيداً - الآن فى شقته فى لندن، تظهر بلقيس دوما على شاشة حياته

يتذكر الشاعر نزار قبانى، بلقيس فيقول لى:

فى عام ١٩٦٩، ذهبت إلى بغداد بدعوة رسمية للاشتراك فى مهرجان المربد.. وهناك ألقيت قصيدة من أجمل قصائدى كانت بلقيس بطلتها الرئيسية:

مرحباً ياعراقُ، جئت أغنيك

وبعض من الغناء بكاء

أكل الحزن من حشاشة قلبى

والبقايا تقاسمتها النساء

بعد هذه القصيدة التى هزت بغداد فى تلك الفترة، تعاطفت الدولة والشعب العراقى مع قضيتى، وتولى القادة البعثيون خطبة بلقيس من أبيها، وكان على رأس الوفد الحزبى الذى ذهب إلى بيت الراوى فى (حى الأعظمية) لطلب يد بلقيس، وزير الشباب الشاعر الأستاذ شفيق الكمالى، ووكيل وزارة الخارجية آنئذ الشاعر الأستاذ شاذل طاقة.

وهكذا ذهبت إلى بغداد عام ١٩٦٩ لألقى قصيدة شعر.. وعدت منها وأنا أحمل معى نخلة عراقية

بلقيس .. امرأة لاتتكرر :

سألت نزار قباني:

● كيف تلقيت نبأ مصرع بلقيس، وكيف أثر هذا الحادث عليك، وكيف تعاملت معه نفسياً؟

- قال نزار في أسى:

غياب بلقيس بهذا الشكل الدرامي، كان أشبه بمسرح اللامعقول. سمعت الخبر من الإذاعة اللبنانية، وأدركت على الفور أن بلقيس تحولت إلى لون من ألوان قوس قزح.

لم يبق بيت في العالم العربي لم يبك بلقيس، وكانت مرثيتي الشهيرة فيها (قصيدة بلقيس) مرثية العصر كما سمتها الصحافة العربية.

بلقيس موجودة دائماً معنا، لاسيما في إطلالة (زينب) وفي كبرياء وفروسية (عمر).

إن بلقيس امرأة لا تتكرر بسهولة، ولذلك فإن شخصيتها، ورقتها، وهدوءها، وحضارتها البابلية السومرية تتجول معنا في أرجاء البيت.

● هل اختارت (هدباء) زوجاً على نفس ملامحك الشكلية والإنسانية؟

وهل سوف تختار (زينب) زوجاً على نمطك؟

– لم أتدخل فى خيارات هدباء ولن أتدخل فى خيارات زينب.. فالأزواج كأوراق اليانصيب أكثرها خاسر وأقلها رابح.. ثم من قال إننى نموذج مثالى للحياة الزوجية؟ أكيد أن كثيراً من النساء يتمنين أن يحبهن شاعر مثلى.. ولكننى لا أنصحهن بالزواج منى.. أو من أمثالى.. لأن الزواج من شاعر كالزواج من بحار فينيقى لا يتذكر اسم زوجته.. ولا عنوان بيته.

- **كم مرة بكيت؟**

– ما أكثر المرات التى بكيت فيها علىّ.. ولكن كل دموعى المرئية.. وغير المرئية.. كانت تصب فى البحر..

المعتقل النسائى

- **الصالونات الأدبية هل انغلقت بلا عودة؟**

- الصالونات الأدبية لم يعد لها زبائن.. لأن صالونات الحلاقة حلت محلها.

سألت نزار قبانى:

- **وكلت نفسك محامياً عن المرأة. فهل لديك توكيل رسمى منها؟**

وحرضتها على أن تكون نداً الرجل وأنت رجل.. ما الأسباب؟

هل استطاعت كلماتك أن تستنهض إرادة المرأة أو غيرت مفاهيم ومعتقدات لديها؟

هل ثارت المرأة بعد كلماتك خصوصاً ديوانك الاستفزازي (يوميات امرأة لا مبالية)؟

قال نزار:

أولاً أنا أترافع عن المرأة بدون أتعاب.. وأنا لا أحتاج إلى وكالة من أية امرأة.. لأننى وكيل (الحق العام).

أما تحريضى إياها للندية مع الرجال، وأنا رجل.. فسببه أن ذكور القبيلة أكلوا الأخضر واليابس وحولوا المرأة إلى منسف رز.. وتعاملوا معها كمستعمرة إفريقية ومواطنة من الدرجة العاشرة..

لذلك كان لابد للشعر أن يتدخل لإنهاء هذه المذبحة الكبرى.

إن ضمير الإنسان لاجنس له.. وكونى رجلاً لا يمنعنى أبداً من الإدلاء بشهادتى، وإدانة قراصنة الجنس، وقراصنة اللحم الأنثوى.

لقد حاولت بقصائدى خلال خمسين عاماً أن أكسر أبواب المعتقل النسائى.. وإذا كان بعض السجينات لايزلن وراء القضبان وإذا كان البعض الآخر قد استمرأن

الحياة فى ظل القمع والظلم، والتفرقة العنصرية.. فأنا لا أستطيع أن أطلق سراح حمامة لاتريد أن تطير.. ولا أن أقدم كأس الحرية لمن لا يشعر بالعطش..

المرأة ليست كائناً بلا إرادة

* المرأة تستمرئ عصر الحريم والتبعية للرجل، ولا تريد أن تقاتل أو تدخل فى معارك من أجل الحصول على حريتها.

هل المرأة مخلوق ساكن منسحق يحب الرجل الفارس صاحب السطوة.. الآمر الناهى الجالب.. والمستجيب لكل المطالب المادية ؟

● ماذا اكتشفت بعد هذا المشوار الحريرى من أجل المرأة؟

– لا أتصور أن من طبيعة المرأة الأساسية الجبن والاستكانة وتقبيل اليد التى تطعمها. ولكن الرجل هو الذى حاصر المرأة بظروف مادية ونفسية، واقتصادية، وقانونية، جعلتها ترضى بواقعها، وتخاف أن تخرج من (بيت الطاعة) فتضطر إلى النوم على قارعة الرصيف.. بلا طعام، ولا غطاء، ولا مصروف يومى.

إن المرأة ليست مخلوقاً منسحقاً، ولكن نحن الذين سحقناها، وليست كائناً بلا إرادة، ولكن نحن الذين ألغينا إرادتها. إن تاريخاً طويلاً من الطغيان أجبر المرأة على أن تتصرف بذكاء وواقعية، وبراجماتية، وإذا كانت بعض السجينات

يرفضن مغادرة السجن، فلأنهن يعرفن أن نظام القبيلة لن يترك لهن خياراً آخر.

ولا يمكن التحدث عن (نموذج موحد) للنساء.. فالأنوثة شأنها شأن كل الأشياء التى تحيط بنا، من غابات، ونباتات، وطيور، وأسماك، وأزهار، تخضع لقوانين البيئة، والتأثيرات الفيزيولوجية، والبيولوجية، والاجتماعية، والوراثية، والعرقية، والحضارية، والثقافية.

كل امرأة هى محصول أرض وبيئة وتاريخ.. وطقوس.. وعادات.. والتشابه الجسدى وحده لا يكفى لجعل كل نساء العالم يتشابهن كحبات المسبحة.

فالمرأة السويدية، أو الفرنسية، أو الإنجليزية، أو الألمانية، لاتفكر، ولاتنفعل، ولا تتصرف فى حالات الحب، كما تفكر أو تنفعل أو تتصرف المرأة الصومالية، أو السودانية، أو البدوية، أو الصينية، أو الكورية، أو الخليجية.

كل امرأة تتصرف بأمر تاريخها، وسلالاتها، وثقافتها، ولغتها، وموقعها الجغرافى.

فامرأة من بلاد الاسكيمو تعطيك درجة حرارة أربعين تحت الصفر.. وامرأة من بلاد الحبشة.. تدخل حياتك كغابة مشتعلة..

الماكياج الداخلى!

• أدوات الزينة والماكياج الخارجى والماكياج المستتر الداخلى.

هل المرأة أسيرة للأول أم للثانى؟

- الماكياج الخارجى، هو نوع مما (يطلبه المشاهدون) تلجأ إليه المرأة... لإرضاء بعض الرجال الذين يسعدهم أن يغطسوا فى بانيو من الأصباغ والدهان.

ومع إيمانى أن المرأة لا تحتاج إلى أن تجعل من وجهها صفحة إعلانية، أو (بوستر) صارخ الألوان، فإننى أشعر بأن المرأة لا تتزين لإثارة إعجاب الرجال فقط.. وإنما تتزين لإثارة غيرة النساء.

أما الماكياج المستتر، أو الداخلى، فهو عمل مسرحى، يعتمد على لعبة الأقنعة، والملابس المستعارة، والعواطف المستعارة.

وإذا كنت أتسامح مع الماكياج الخارجي وأعتبره غريزة نسائية لاشفاء منها.. فإن الماكياج الداخلى هو عندى عمل من أعمال المكر والتزوير.

قلت لنزار قباني:

• هل هناك فعلاً نظرة حب، ونظرة كره، ونظرة غيرة، ونظرة شوق، ونظرة لامبالاة..؟!

أريد أن أتعرف منك على لغة العيون.

قال نزار:

لغة العيون هي لغة قديمة ككل اللغات التي استعملها الإنسان للتعبير عن نفسه. وهي لغة لها قواعدها، ومفرداتها، وقاموسها. وكما أن الإنسان يستعمل يديه للتعبير عن رضاه وغضبه، وحبه وكرهه، فإنه يستعمل عينيه ليقول ما في أعماقه. إن العيون هي المرايا التي تعكس كل تفاصيل النفس البشرية.

• هل الحب يسلب الإرادة، ويخفي عيون المحبوب؟

ومتى سلبت إرادة نزار قباني تماماً؟

- لم يحدث لي أبداً أن فقدت إرادتي أمام امرأة أحبها.. فالحب لا يعني بحال من الأحوال أن نلغي الشخص الذي نحبه.. الحب لا يعني أبداً أن نفقد بصرنا، وبصيرتنا، ونتحول إلى (ممسحة) تحت أقدام حبيبتنا.

الحبيبة ذاتها، لا تطلب من رجلها أن يكون في حالة انعدام الوزن.. وأن يكون ضائعاً.. ومائعاً.. ومكسوراً كغصن النعناع.. أو رخواً كقطعة الشوكولاته.

هذا ليس حباً.. إنه نوع من إلغاء الآخر.. بل هو استعمار فكري، وجسدي، وعاطفي... لا يمكن أن يستمر. إنني ضد المثل الشائع والسخيف الذي يقول: إن الحب أعمى.

لا ياسيدى. الحب هو أن أعرف من هى حبيبتى.. ولماذا هى حبيبتى.. لا أن أضع النظارات السوداء على عقلى ومشاعرى.

الحب كمياه البحر فى حالة تحول دائم.. فكما لا يمكن التنبؤ بحركة الموج، ومواقيت المد والجزر، واتجاه الريح.. فلا يمكن التنبؤ بما تكون عليه حالتنا العاطفية بعد خمس دقائق.

ثم إن الحب مادة نارية، ومن طبيعة النار أن تتوهج وأن تخبو.. وأن تعصف وأن تهدأ.. وأن تتقدم وأن تتراجع. وليس هناك نار أبدية تبقى دائمة الاشتعال إلا فى القصص والروايات.

أما الحب الجديد فهو بالتأكيد يمحو بصمات الحب السابق، لأن ماء القلب لا يكفى لرى وردتين فى آن واحد.

القصيدة لا تعرف الجلوس!

• قلت إنك لا تكتب القصيدة، ولكن القصيدة هى التى تكتبك.. فما عنيت؟

- أردت أن أقول إن الشاعر لا يعرف عن قصيدته شيئاً.. ولا يعرف مكان ولا زمان ولادتها.. ولا يستطيع أن يتنبأ بجنس قصيدته.. إن كانت ذكراً.. أو أنثى.. شقراء أم سمراء.. جذابة أم بعيدة عن القلب.

إن الشاعر هو امرأة حامل ممدودة على طاولة العمليات.. لا تتذكر من هو طبيبها.. ولا من هو زوجها.. ولا تاريخ زواجها.

● **إن القصيدة زلزال يزلزل الشاعر.**

هل تحس بأعراض هذا الزلزال كسكان مناطق الزلازل.. والذين تقع منازلهم حول حزام الزلازل؟

أحمد شوقى كانت تعتريه شبه حمى أثناء حالة الشعر لايبرأ منها إلا بعد الكتابة فيبرأ من الحمى.. أنت من أى فريق.. وما الذى يصيبك، قبل وأثناء وبعد القصيدة؟

- كتابى (قصتى مع الشعر)، هو سيرة ذاتية هادفة جداً، وحميمية جداً، لم ألبس فيها الملابس التنكرية، ولم أكتم سراً واحداً من أسرارى.

فأنا شاعر لا أومن بالسرية لا فى شعرى ولا فى حياتى، ولأننى واضح كضوء النهار، ومكشوف على الجهات الأربع، استطعت أن أجمع حول شعرى مائتى مليون عربى.. شبعوا من الكذب والكذابين.. ومن النفاق والمنافقين..

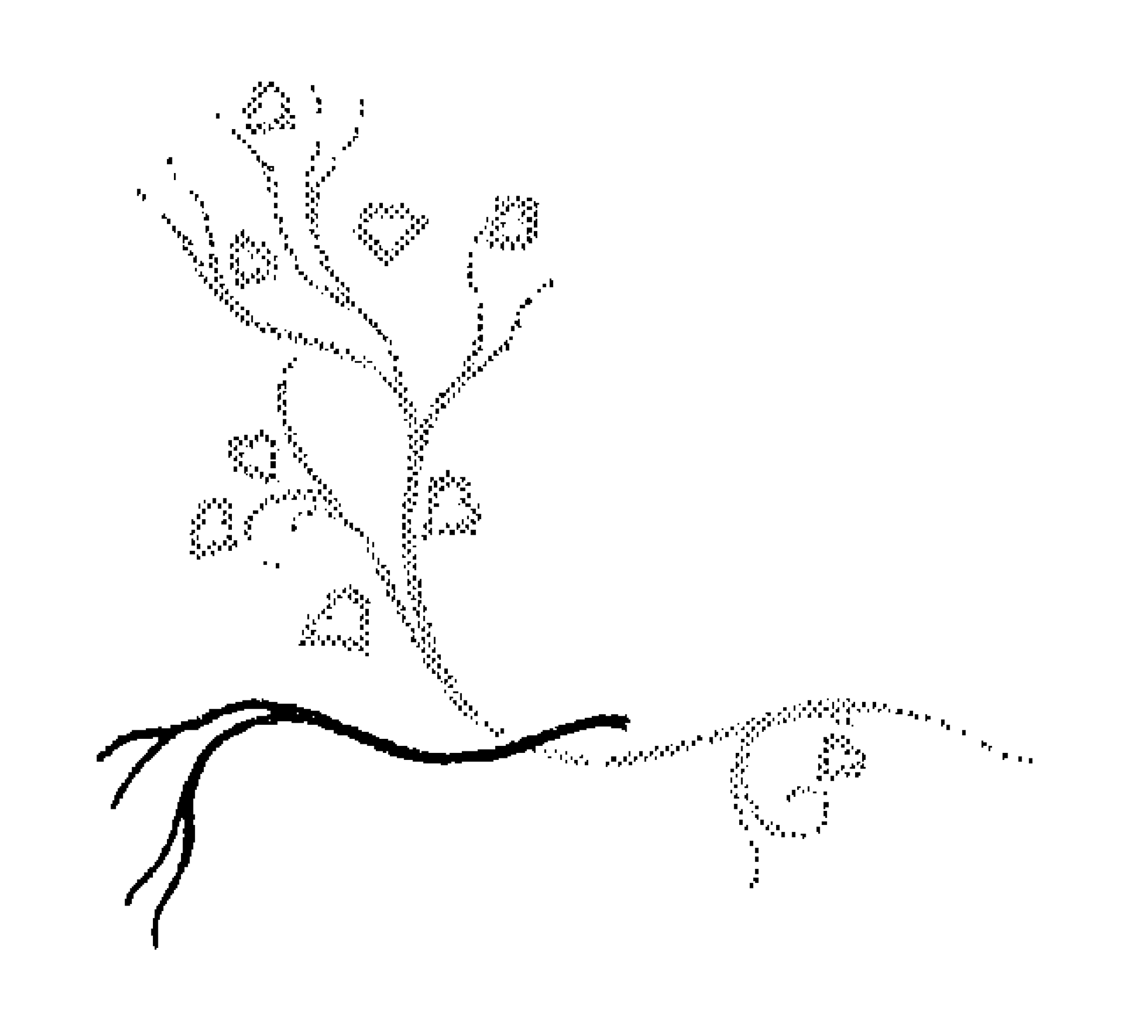
أما عن الزلزال الذى قلت إنه يضربنى عند كتابة القصيدة، فهو ليس كبقية الزلازل التى ينطبق عليها مقياس ريختر.. وإنما هو زلزال لغوى لا يترك حرفاً

ولا فاصلة، ولا فعلاً، ولا فاعلاً، ولا مبتدأ.. ولا خبراً.. إلا ويبعثره على جدران غرفتى، وشراشف سريرى.

وعندما ينتهى الزلزال.. أشعر أن اللغة الأولى التى كنت أكتب بها قد تفككت.. وأن لغة جديدة أخرى تتشكل تحت الرماد.

وهذا الزلزال الشعرى لا يهاجمنى فى البيت فقط.. وإنما يهاجمنى وأنا أحضر إحدى الحفلات، أو أركب المترو، أو أمشى فى الشارع، أو أحضر حفلة موسيقية، أو معرضاً للرسم، أو أتجول فى حديقة عامة.. أو خلال وجودى في أحد المحلات الكبرى..

أما الجلوس على طاولة الكتابة، فلا يقدم ولا يؤخر فى كتابة القصيدة.. لأن الطاولة تصلح للأطباء، والمهندسين، والمؤرخين، والمعلمين، ومدراء البنوك، وموظفى الاستعلامات. القصيدة كالشجرة لا تعرف الجلوس أبداً.





عبدالوهاب... وأنا

"بلقيس هى كنز عظيم
عثـرت عليه مصـادفة!"

قباني... وأنا

لم «أتفـذلك» في الإبحار بالأسئلة في «مـحيط» الشاعر نزار قباني. كان السؤال بسيطا ومباشرا، فإذا تضمن «معلومـة» يكون أفضل.. أسئلتي لم تكن سوى دقات مهذبة على خزانة الشاعر الكبير.

أسئلتي كانت محاولة لمعرفة (الأرقام السرية) لهذه الخزانة المزدحمة بالمعلومات والحكايات .. والتأملات. أسئلتي كان هدفها تحريض نزار على البوح من الألف إلى الياء.

وحـين جلس نزار ليتكلم، لم يكن يدخن ولا كـان يسرح ولم يفعل مثل بعض «الكتاب» الذين يضعون قبضة يدهم على خدهم مثلما كان يفعل أمير الشعراء أحمد شوقي!

كانت الآراء تنساب في تسلسل مذهل وكأنها كانت محبوسة في صدره تنتظر (لحظة الإفراج)، فأفرج عنها، وكنت أعرف أن لكل قصيدة (ميلاد) أي زمان ومكان. لذلك حدثته عن قصيدة (طفولة) ميلادها.. ومكانها .. فبادرته بسؤال!

• القاهرة سنة ٤٨ كنت تسكن فيها في مصر الجديدة ماذا تقول عنها؟

وكانت وسيلة المواصلات من بيتك للسفارة والعكس هى المترو، وقلت إن أهم قصائد ديوانك (طفولة) كتبت فى المترو ذهابا وإيابا. كيف تستطيع أن تنفصل عن الزحام والضوضاء، وتكتب قصيدة أو هى التى تكتبك؟؟

قال نزار:

- ضاحية مصر الجديدة فى الأربعينيات، كانت جميلة، ونظيفة، وحضارية، كضاحية (ويمبلدون) البريطانية، والمترو فى ذلك الزمان كان لا يقل رقيا وحضارة عن مصر الجديدة، ولأن بيتى كان يقع على آخر محطة قرب مطار القاهرة، فقد كنت أشعر بأننى الراكب الوحيد الذى يسير المترو من أجله، ولا أدرى لماذا يذكرنى مترو مصر الجديدة، بباصات لندن الجميلة التى كتبت أيضا فى طوابقها العلوية عام ١٩٥٢ واحدا من أهم دواوينى الشعرية وهو (قصائد).

أما الزحام والضوضاء فلم أكن أشعر بهما لا فى القاهرة عام ١٩٤٨ ولا فى لندن عام ١٩٥٢ لأننى كنت فى حالة سلام مطلقة مع نفسى.

علي مقاس بلقيس

• هل كانت (قصيدة بلقيس) لشخص بلقيس الذى عايشته، أم لأية فاتنة تحمل نفس الملامح أو الصفات و المواصفات؟

ـ القصيدة مفصلة على مقاس بلقيس، من قمة رأسها إلى قدميها، من عينيها الخضراوين، إلى شعرها المغزول من سبائك الذهب، إلى عطر (غيرلين) الذى كانت تفضله.. إلى سجائر (كنت) التى كانت تدخنها.

ولأن بلقيس امرأة لا تتكرر بسهولة، ولأن شمائلها، وألقها كان ألقا ساميا، فإن كلمات القصيدة لا يمكن أن تنطبق إلا على امرأة عظيمة غيرها.

سألت:

- **أى قصيدة حب وراءها ملهمة؟**

هل وقعت فى أكثر من حب، فكتبت عن الحب، وللحب، أم أن حالة الحب يمكن أن تكون خيالا أو سراب حب؟

قال الشاعر:

اختلطت فى رأسى قصائد الحب مع صاحباتها، حتى (تكسرت النساء..على النساء) فالنساء يذهبن .. ولكن القصيدة تبقى، ولقد كنت دائما واعيا لأسبقية الفن، فالذى كان يهمنى من كل علاقة حب أدخل فيها، هو آثارها فوق أوراقى.

وأسمح لنفسى هنا أن أستشهد بنص فى غاية الذكاء والصدق كتبه عنى موسيقارنا العظيم محمد عبد الوهاب فى كتابه (أوراق خاصة) وحلل فيه العلاقة الملتبسة بين المبدع والمرأة.

قال موسيقارنا الكبير:

« الشاعر نزار قبانى ينظم الشعر بعينيه لا بقلبه، فهو مصور، أشعاره لوحات جميلة بأسلوب جذاب بسيط ورشيق.

لم أشعر فى شعره بانتفاضة قلبه، أو بمأساة عاشها، أو مشكلة مر بها.. واعتصرت قلبه، وصاغها شعرا.

بل إنه مصور، وقد كشف هو عن نفسه، فقد أصدر ديوانا من الشعر، عنوانه (الرسم بالكلمات)»

رسام بالأنغام!

«إنه عندما ينظم بلسان المرأة، فإنه يرى مشاكلها، ويرقبها بدقة، ويصورها نظما، لأنه يحس بإحساس المرأة بصدق.

وأنا لم أقرأ له شعرا حزينا أو به من الشجن ما يجعلنى أحس بأنه التاع وسهر وبكى.. إنه رسام بالكلام. كما قال هو.

إن نزارا عندما يعانى من مشكلة ينفصل منه نزارا آخر يرقبه فى محنته، ويسجل عليه تصرفاته.. ثم بعد ذلك ينضم إليه ليصبح نزار الشاعر يكتب ما رآه شعرا.

إن نزارا يخاطب المرأة والحب كأنه امبراطور يأمر فيطاع، وأنه يتفضل على الحب والمرأة بما يجود به.

لم أشعر ولم أتصور أبدا أن نزارا يجثو أمام محبوبته أو يتذلل أمامها، إنه أرفع من هذا، إنه ليس بإنسان يلتاع ويهيم.. إنه أكبر من ذلك.

هذا ما قاله عنى كبيرنا محمد عبد الوهاب وهو كلام دقيق جدا، وصحيح جدا، ولم يكتب مثله أكبر نقاد الأدب.»

وعندما سألت زوجته السيدة نهلة القدسى:

قولى لى يا سيدتى، كيف استطاع زوجك أن يكتشفنى ويسلط الضوء على عالمى الداخلى؟ قالت لى: لا تستغرب يا نزار ما قاله، لأنه كان يكتب عن نفسه.. فإذا كنت رساما بالكلمات فهو رسام بالأنغام.

● سألت نزار قبانى:

أى قصيدة أقرب إلى قلب نزار قبانى وما هى الأسباب؟

يقول الشاعر:

أحب قصيدة إلى نفسى هى القصيدة التى لم أكتبها.. لأنها تتركنى فى حالة قلق .. وتوتر.. وانتظار.

إن مجهول القصيدة أجمل من معلومها.. والمرأة التى نقابلها هى أجمل من المرأة التى قابلناها.

إننى لا أحفظ قصائدى القديمة.. لأننى أكره الوقوف على الأطلال.

إننى رجل بلا ذاكرة شعرية.. ولا ذاكرة غرامية لأننى ضد القصائد المجلدة.. والعواطف المجلدة!!

- **لقد نضج نزار قبانى عبر السنوات..**

فهل هذا النضج ينسحب على قصائده؟

غزا الشيب فوديك، فهل غزا الشيب كلماتك، أم أنك تعيش عمر الشباب مرتين؟ وكذلك قصائدك تعيش الشباب أكثر من مرة؟

يجيب نزار:

بعيدا عن الغرور والنرجسية أقول لك: إن ما ينطبق على جسد الفنان لا ينطبق على أجساد الآخرين. فقصيدة (حب ٩٥) التى كتبتها فى مطلع هذا العام، فاجأتنى كما فاجأت الآخرين بنضارتها، وديناميكيتها، وقوة نبضها، حتى أن أحد الأصدقاء هتف لى من باريس يقول: (مش معقول.. مش معقول.. هذا الكلام الطازج عن الحب.. يذكرنى بكلامك فى الستينيات).

إننى لا أريد أن أدافع عن صورة دوريان جراى وشبابه الدائم، ولكننى أريد أن أقول إن (هرمونات الإبداع) عند المبدعين، لا تتعرض للعطب والتآكل كما هى عند الآخرين.

نعم.. الشعر هو شباب على طول.. والرسم هو شباب على طول.. والموسيقى هى شباب على طول والمجسمات والسيمفونيات والمسرحيات ورقص الباليه.. هى شباب على طول. بالإبداع وحده نستطيع أن نتحدى الشيخوخة. إننى أقيس صحتى العامة، لا بميزان الحرارة، ولا بميزان الضغط، وإنما أقيسها بحركة أصابعى على ورقة الكتابة. فما دمت قادرا على تحريك أصابعى.. وتحريك وجدان الجماهير وأحاسيسها .. فأنا بألف خير.

شكل تاني!

سألت الشاعر:

- **هل تحب أن تغنى قصائدك، أى تلقيها على الناس،**

أم أنك تفضل أن يتغنى صوت مليح بكلمات قصائدك؟

- مع احترامى لكل المغنين والمغنيات.. فإننى أعتقد أن قراءتى لشعرى.. (شكل تانى)

• لمن تقرأ من الشعراء .. وما ملامح شعره؟

- أتابع كل الشعر، وكل الشعراء، لأعرف ما يجرى على خريطة الشعر. ولا أرى فى أفق الشعر ما يبعث على الاطمئنان، فالأصوات متداخلة، والوجوه متشابهة، والقصائد تكاد تكون قصيدة واحدة.. والحداثة رغم كل ادعاءاتها وتبجحاتها لم تستطع حتى الآن أن تفرز شاعرها المنتظر.

سألت :

• هل هناك صفة تجتمع فى كل النساء، ولا يمكن أن تخلو منها أية امرأة؟

أجاب :

هى ثلاث صفات: الغيرة .. الفضول.. وشهوة الاطلاع على الأسرار.. ونقلها على كل الموجات.

• الغيرة الشديدة.. أم هل هناك غيرة عاقلة .. وكلمة الغيرة هل هى صفة نسائية أم صفة ذكورية أيضا؟

- الغيرة الموزونة والعاقلة، هى ملح الحب وبهاره أما الغيرة الحارقة والمدمرة، فكارثة لا تبقى ولا تذر وسم زعاف يقتل صاحبته أولا.

والغيرة ليست صفة نسائية فقط.. فثمة رجال إذا تملكتهم الغيرة. تحولوا إلى

سفاحين من الدرجة الأولى، وليس (عطيل) فى مسرحية شكسبير الشهيرة سوى واحد من هؤلاء.

● **هل اختلفت الفتاة الجامعية العربية فى الفكر والسلوك عن والدتها، أو جدتها، اللواتى لم ينلن من العلم قسطا معقولا؟**

- بدون شك حصل تطور كبير فى فكر الجامعيات العربيات، وفى مواقفهن، ورؤيتهن للحياة، ولكن بصمات المجتمع والتاريخ والماضى عليهن لا تزال تلعب دورها فى اتخاذ قراراتهن. الدبلوم هو خطوة على طريق الحرية، وليس كل الحرية، والثقافة التى تتلقاها الفتاة فى الجامعة، لن تكون ذات جدوى ما لم تقترن بالمواجهة، والتحدى.

من هى المثقفة؟

قلت لنزار قبانى:

● **من هى المرأة المثقفة؟ ومن هو الرجل المثقف؟**

أجاب :

المرأة المثقفة هى التى تستطيع أن تدخل فى حوار شمولى، ولمدة ساعات مع الرجل.. دون أن تشهر فى وجهه أسلحتها التقليدية، من جفون ناعسة، وأظافر

حادة. وتنانير فولكلورية .. و معاطف (مينك) .. وساعات (بياجيه) .. وخواتم مشكوكة فى أصابعها.

أما الرجل المثقف .. فهو الذى يحاول أن يربح ثقة المرأة التى يجلس معها بما يحمل فى رأسه من أفكار جديدة، و مشاهدات وقراءات متنوعة.. لا بما يحمل فى جيبه من عملات صعبة وشيكات سياحية.

وباختصار المرأة المثقفة هى التى لا تتصرف كجارية.

والرجل المثقف هو الذى لا يتصرف كثرى حرب.

● هل المرأة العربية أسيرة الموضة؟

وتشعر بالضعف تجاه مصممى الأزياء.. وبيوت الأزياء؟

ـ كل النساء ـ بلا استثناء ـ ضعيفات أمام هذا الوحش المفترس الذى اسمه الموضة.

والمرأة العربية لها الحق كأنثى، أن تحلم بثوب جديد، أو معطف جديد، أو عطر جديد لتجذب به زوجها.

وإذا كان الرجل العربى يحب المرأة ملظلظة، ومفلفلة ، ومبخرة.. ومعطرة.. ومشكشكة بالخرز.. والترتر كأنثى الطاووس.. فلماذا نلومها إذا رأت (فالنتينو) .. و (إيف سان لوران) و (كوكو شانيل).. فى منامها؟

سألت :

- **هل يمكن أن تذكر لنا سيدة عربية رائدة فى حقل العمل النسائى؟ استوقفت نزار قبانى؟**

قال:

فى إحدى أغنياتها تقول فيروز: (ما فى حدا.. لا تندهى.. ما فى حدا) واسمحوا لى أن أصرخ كما صرخت فيروز: (ما فى حدا.. وما فى امرأة واحدة فشت خلقى.. فكسرت أقفالها.. وعضت على قيدها).

نعم يا سيدى، لقد تصفحت أوراق ذاكرتى ورقة .. ورقة فلم أعثر على امرأة من بين فئة مليون امرأة عربية.. أقدمت على هذا العمل الجنونى!

لذلك تبقى الحركات النسائية عندنا همسا خافتا يدور فى الصالونات، والاستقبالات الصباحية، والمكالمات التليفونية.

المرأة تريد من يمضغ عنها لقمة الحرية.. ومن يبلعها أيضا، وإذا تشجعت ومشت فى أحد التجمعات فإنها تخاف أن ينكسر كعب حذائها.. أو تتلخبط تسريحة شعرها.

إن الحركات النسائية التى تنطلق من عند (الكوافير) .. لا يمكنها أن تحرر نملة.. أو عصفورا.



بلقيس...
تزوجت هيروشيما!

«« نعم، ابـنـتـى، تعـــيش فـى منزل مــســـتـقـل! »»

بلقيس...
تزوجت هيروشيما!

قال الشاعر الكبير:

لا أحب أن أخضع للمزاج النفسى. فأنا أحيانا تصيبنى حويصلة اكتئاب. وأحيانا تخذلنى عافيتى. وأحيانا ثالثة يقفز سؤال بوهيمى: ما جدوى هذا؟ اخترت المزاج المعتدل وهو ساعة الصباح وشرعت فى الإبحار.

وسألت نزار :

- **أين تكتب؟**

فقال ضاحكا:

«فى أى مكان صحراء أو بركان» وفهمت أنه يدخل مكتبه، متى أحس أنه يريد أن يخاطبنا بحروفه التى ينسج منها كلمات نثره قبل شعره .

نزار.. شعره جميل، ونثره أجمل، وخطه أجمل وأجمل! وليس صحيحا أن العباقرة خطوطهم ركيكة مثل روشتات الأطباء. لقد كسر نزار قبانى هذه المقولة. فخط نزار فى الكتابة حتى عبر رسائله الشخصية يمكن أن يكون «درساً» لهؤلاء أصحاب الخطوط السيئة! إنه يكتب الرقعة بحلاوة النسخ وأناقة حروف المطبعة!

قلت لنزار قبانى:

- **هل الصداقة كقيمة متواجدة بالفعل بين الرجل الشرقى والمرأة الشرقية؟ هذه الصداقة المجردة بعيدا عن الأحاسيس والانفعالات؟**

أجاب نزار بإسهاب :

الصداقة ممكنة فى المجتمعات التى لا تشكل المرأة لديها هاجسا في الليل والنهار!

لابد أن نستريح من الريبة. والشك والخوف حتى نستطيع أن نقيم حوارا حضاريا مع الجنس الآخر. ولابد أن نشفى من هذا الصداع التاريخى المزمن الذى ينتابنا كلما رأينا كاحل امرأة.. أو سمعنا رنة خلاخيلها حتى نتمكن من الحديث بصورة طبيعية، وترتيب أفكارنا بصورة طبيعية، وتحريك أيدينا بصورة طبيعية.. دون أن نسخن.. أو نبرد... أو نتصبب عرقا.

لست شاعراً منافقاً!

• كنت مسكونا بالمرأة. هذه سمعتك فى الوطن العربى.

هل تستملح هذه التسمية؟

أم أنك تخاف منها وتواريها عن عمد؟؟

- البلبل لا يختجل بريش جناحيه، والوردة لا تختجل بعطرها، والطاووس لا يختجل بألوانه. لابد أن أكون مسكونا بشيء جميل.. حتى أكتب شعرا جميلا.. ومثل هذه الشائعات تعطرنى.. ولا تخجلنى.

سألته :

• ابنتاك هدباء، وزينب. هل تقبل أن تعيش الواحدة منهما بمفردها، وتنفصل عنك نفسيا وجغرافيا... وتعيش حياة المرأة التى تنادى بها؟

أجاب :

لمعلوماتك، أقول لك إن هدباء تعيش الآن فى منزل مستقل، وكذلك تفعل زينب.. عندما تطير العصافير عن الشجرة، ليس بوسعك أن تستردها، وتمنعها من الطيران.

أنا شاعر لا يناقض نفسه، ولا يقيم حواجزا أو حدودا بين ما يكتبه على الورق، وبين طريقة حياته. الحرية التى أنادى بها.. ليست وقفا على «بنات الناس» فقط... بل تنطبق على بناتى.. وإلا كنت شاعرا منافقا، وممثلا مسرحيا بوجهين.. وقناعين.. ولغتين..

● ألم تغر الراحلة بلقيس فى أى يوم من أية امرأة أو معجبة؟ وكيف كانت ردود فعلها؟

ـ عندما تزوجتنى بلقيس، كانت تعرف من تزوجت.. كانت تعرف منذ البداية أنها تزوجت الرعد.. والبرق.. والعاصفة. ولا أزال أذكر كلمتها الرائعة التى قالتها لإحدى صديقاتها فى مطار بغداد ، ونحن نستعد للسفر إلى بيروت بعد زواجنا.

• سألتها صديقتها: من تراك تزوجت يا بلقيس؟

أجابت بلقيس بكل وقار وجدية :

«تزوجت هيروشيما».

إذن فبلقيس كانت تعرف أنها تزوجت شاعرا جمع حوله امبراطورية من النساء.

لذلك كانت تتصرف على أساس المعرفة، لا على أساس الوهم والتخمين.

كم من مرة تلقت مكالمات هاتفية من معجبات، وأعطتنى سماعة التليفون لأتكلم... وخرجت من الغرفة حتى لا تحرجنى.. وعندما كانت تتجمع حولى الصبايا فى نهاية أمسية شعرية ناجحة، كانت تترك القاعة وتجلس فى سيارتها.. حتى لا تضايقنى أمام صاحبات الأوتوجرافات..

وعندما سألتها صحيفة لبنانية ذات يوم: ألا تتضايقين، من التفاف المعجبات حول زوجك؟

أجابت بكل كبرياء:

ولماذا أتضايق؟ إن معجبات نزار هنّ جزء من «مجدنا الشعرى المشترك..»!!

زوج منضبط

• هل النظام الزوجى، والالتزام الأبوى يؤثر على انطلاقة الشاعر؟

وهل بالفعل سرت آثاره على نزار قبانى؟

- الذين عرفونى عازبا، وعرفونى متزوجا - وأنت منهم يا مفيد - يعرفون أننى لم أسقط بالضربة القاضية تحت مطرقة المؤسسة الزوجية.

فالشعر كان مرسوما على جبينى، لا أستطيع أن أخالفه، أو أعصى له أمرا.

فى نظام الأولويات كان الشعر يأتى أولا.. والوظيفة، والدبلوماسية، والزوجية.. تأتى فى المقام الثانى.

لا يعنى هذا أننى كنت زوجا سيئاً، أو هاربا من التزاماته. على العكس، كنت زوجا منضبطا، وموزونا، وحنونا. ولم أكن أبدا زوجا سفاحا، أو قرصانا، أو قاطع طريق.

أنا بطبيعتى رجل منظم.. وكان لابد لى من امرأة تحمل إلى بيتى النظام.. لأنى لا أستطيع أن أبدع فى ظل الفوضى.

سألت نزار:

• لو قابلت يوما.. جميلة الجميلات.. هل لو لم يكن الشعر من مربعات اهتماماتها.. يخاصم نزار قبانى هذا الجمال ولا يلتفت إليها مجرد التفاتة؟

أجاب الشاعر الكبير:

أنا متحمس لمنتوجات بلادى.. لا للجمال المستورد.. ولا للحب المستورد.

جميلة الجميلات نوع من الأوقاف المشتركة.. الموزعة على القارات الخمس.. أما امرأتى فأريدها لى وحدى.. بكل بوصة منها.. بكل سنتيمتر منها.. بكل دبوس من دبابيس شعرها.

باختصار أنا الذى أعطرها.. وأبخرها.. وأغسلها بماء الشعر.

أما الجميلات القادمات من لندن، وباريس، وستوكهولم، وبوخارست، ومونت كارلو، ولوس انجلوس فلا يثرن اهتمامى.

• الزواج من أجنبية، نالت الحرية، وعرفت ثقافات الشعوب، ورفضت منطق الحريم،

هل الزواج من أجنبية متحضرة يقدم عليه نزار قبانى؟؟

- الزواج من أجنبية «مرفوض يا ولدى.. مرفوض».. لأننى أريد زوجة معجونة بالقرفة، واليانسون، والشطة، وحب الهال، ورائحة التمر حنة.

المرأة المحايدة لا تثير فضولى وخيطان «السباغيتى» تلتفت حول عنقى.

وإذا كان لى أن أختار بين حضارة «الشانزليزيه»، وميدان «البيكاديلى»، و«فيافينيتو».. وبين حضارة خان الخليلى، والموسكى، وحى السيدة زينب. فإننى بدون تردد مع حى السيدة زينب.

قصيدة الحزن!

● الحب فى قصائدك مقرون بالحزن،

ألا تستطيع الحب بدون حزن..

ومن هى المرأة التى علمك حبها أن تحزن،

ومن كتبت لها قصيدة «نهر الأحزان»..

وهل الحزن فى الحب هو الصدق فى الحب؟

- أنا عاشق تجرى فى عروقه دماء كربلاء.

والعشق العربى بصورة عامة هو عشق كربلائى.. يعيش على حد الخنجر.. وينزف كحمامة مذبوحة.

وأنا لست سوى حمامة بين آلاف الحمائم المذبوحة من الخليج إلى المحيط.

إننى لا أستطيع أن أكتب قصيدة وأنا أرقص.

فأجمل قصائدى كتبتها وأنا أنزف.. مثل «نهر الأحزان»، وقصيدة «الحزن».

أما الفرح فلم أكتب به قصيدة واحدة لأنه ولد أبله.. ومتخلف عقليا.

سألت نزار قبانى:

● **من هم هؤلاء فى كلمات:**

١ - يفتشنكو:

- كان يمثل الدور الماركسى، بينما هو بورجوازى حتى نخاعه الشوكى.

٢ - ت. إس. اليوت.

- الأب الشرعى لنصف شعرائنا المعروفين.

٣ - حافظ إبراهيم.

- موهبة عظيمة.. ينقصها دفتر شيكات.

٤ . أحمد شوقى.

ـ موهبة، ودفتر شيكات، وبكوية، و «كرمة ابن هانىء».

٥ . كامل الشناوى.

ـ شاعر كبير، وصوت أوبرالى. وظريف على مستوى نجيب الريحانى.

٦ . عباس محمود العقاد شاعرا.

ـ صفر على شمال الشعر.

فاكهة كل الفصول!

• الحب تفضله وتستمتع به أنت وغيرك فى سن العشرينيات أم الثلاثينيات أم الأربعينيات أم الخمسينيات أم فى عمر الشيخوخة؟

ـ الحب فاكهة لكل الفصول. والمهم هو الطريقة التى نتذوق بها هذه الفاكهة.. وأتصور أن السن التى تمتد من الأربعين إلى الخمسين هى السن التى نتذوق فيها فاكهة الحب، بعقلنا، وخبرتنا، ونضجنا الثقافى والحضارى لا بطيشنا، واندفاعنا، وأظافرنا الطويلة.

سألت الشاعر:

- **هل يعترف الحب بفارق العمر؟**

رجل شيخ يتزوج فتاة فى مقتبل العمر.. وعجوز شمطاء تتزوج شابا؟

أجاب:

هذا ليس حبا... ولكنه مزاد علنى يحاول فيه بعض الموتى أن يمدوا فترة إقامتهم على الأرض.

- **هل المسافات تميت الحب أم تحييه؟**

يقولون إن المسافات تصنع الحب، وتجدده، وتشحن البطاريات؟ فيتغذى الحب بإكسير الفيتامينات المقوية وهى المسافات؟

- أنا كنت دائما من حزب المسافات.. لأننى أعتقد أن الالتصاق الطويل بالحبيب يفقدنا الإحساس به. وعندما كتبت هذه الفكرة فى قصيدتى «أسألك الرحيلا».

«كن فى حياتى الشك والعذابا

كن مرة أسطورة.. كن مرة سرابا..

وكن سؤلا فى فمى لا يعرف الجوابا..

لنفترق أحبابا..

فالطير كل موسم تغادر الهضابا

والشمس يا حبيبى تكون أحلى عندما تحاول الغيابا..

وكى أكون دائما جميلة..

وكى تكون أكثر اقترابا..

أسألك الذهابا..»

عندما كتبت هذا الكلام الغريب عن قوانين العشق المعروفة، احْتجّت السيدات علىّ بحجة أننى أدعو لكسر العلاقات الجميلة.

الحقيقة أننى لا أريد أن أكسر شيئاً.. ولكننى أريد أن أنقذ الحب الجميل من جليد العادات، ولعنة الروتين.

قلم الحبر!!

● هل تصل كل كلماتك إلى مستحقيها؟

بمعنى أن الذواقة لشعرك من النساء كثيرات.. وهن يقرأن كتبك سرا، وأيضا العاملون فى حقل السياسة هل يستنكرون تشريحك الشعرى واستعمال القلم الرصاص لإطلاق قذائف شعرية موجهة؟

ـ قلت فى بداياتى الشعرية أننى سوف أؤمم الشعر العربى، وأجعله فى متناول أى إنسان عربى من عدن إلى طنجة. ويسعدنى أن عملية التأميم قد نجحت... وهأنذا مزروع تحت أساسات أى بيت عربى..

أما النساء فأعتبرهن أفضل القراء على الإطلاق، وأكثرهم حساسية ونبلا وحضارة.

أما بعض رجال السياسة فهم مصفحون ضد الشعر وضد المشاعر الجميلة.. وضد الحق والعدالة والحرية.. لذلك، فأنا لا أتوجه إليهم بكلماتى. لأن الكلام معهم إضاعة للوقت.

قلت لنزار :

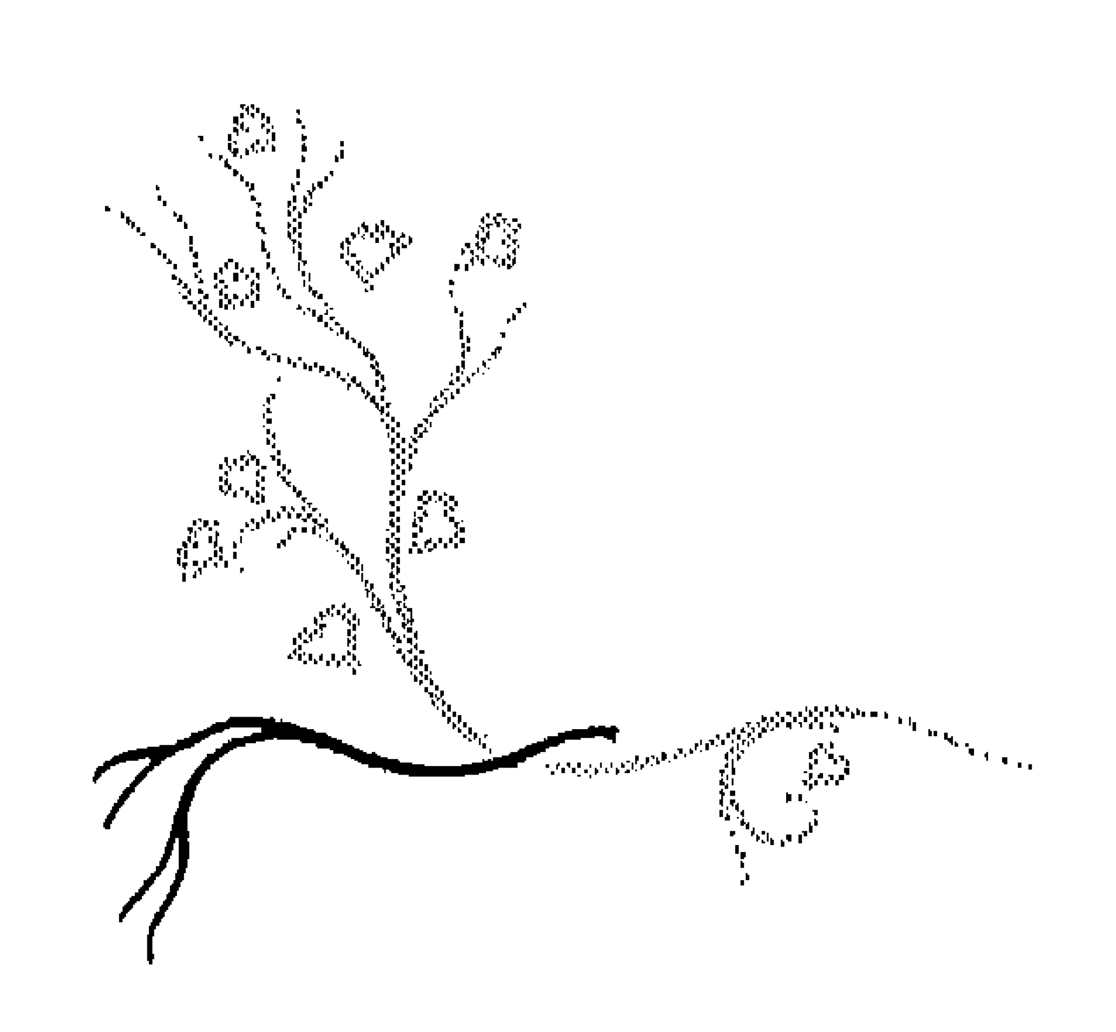
• أى مخترعات الحضارة تنحنى احتراما لها؟

ـ قلم الحبر الذى أكتب به.

• كيف يستطيع الشاعر الإمساك بتلابيب القارىء؟

هل يتحدث عن معاناتهم أم عن معاناته الخاصة؟

ـ لا أحب عبارة «الإمساك بتلابيب القارئ» فالشعر ليس محاولة لاغتصاب الناس، ولكنه لغة حضارية تحاول أن تعزف على أحاسيسهم.. وترفع مستواهم الحضارى، وحين يحاول الشاعر أن يعبر عن معاناة الآخرين، لأنه غير منفصل عن بيئته، ومجتمعه، وتاريخه.





الرجل الشرقى... لا يحبنى!

" لايوجـــد فـــى أوربا شـــىء
اسمه حاجز الذكورة والأنوثة! "

الرجل الشرقي... لايحبني!

نزار. لمن يريد أن يتحاور معه بعدى!!

لابد من فهم طبيعته وتكوينه وعاداته مع الصحفيين!

١. لابد من أن تكون معجبا بالشاعر، قارئاً لمعظم دواوينه إن لم تكن كلها.

٢. لابد من أسئلة فى صياغتها ما (يفتح شهيته) للكلام بدلا من أن «تسد نفسه».

٣. لا مانع من (مداعبة غرور) الشاعر بسؤال، أو اثنين أو ثلاثة، ثم سؤال تصادمى، وبعده سؤال استفزازى، فهذه (الطريقة) تجعله يقظاً فى ملعب المحاورة.

٤. ياسلام لو أوردت فى كلامك بعض مقاطع من قصائده. فهذا مدخل ذكى يفتح الخزانة!

٥. حين يصمت الشاعر برهة، لاتقاطعه على طريقة مذيعات التليفزيون المبتدئات. اتركه يسرح. إنه يجوب فى ثوان أرض ذاكرته، ينادى التجارب فتطيعه، وتأتى بعد قليل!

وأعود. بهذه الأدوات. للحلبة!

● الصدق، الشجاعة، السلاسة، أم الفصاحة،

أى منها يشعر القارىء الذواق أن القصيدة هى قصيدته؟ وبهذا يصبح الشاعر داخل القارىء، فتحدث وحدة بين المبدع الشاعر، والمتلقى القارىء؟

ـ أهم العناصر للتغلغل فى وجدان القارئ هى الصدق، وبدون هذا الصدق.. تصبح كلمات الشاعر نوعاً من العملة المزورة.

يخاصمون كلماتى

سألته :

● من يقبل على كتبك أكثر، ويلهث وراء كلماتك أكثر المرأة أم الرجل؟

الشباب أم الكبار؟

الأمهات أم الآباء أم الجدات؟

ومن يمتنع عن قراءتك ويخاصم كلماتك؟

ـ المرأة هى التى تقرأنى أكثر لأنها تريد أن تقرأ نفسها... والشباب هم الذين يتهافتون على كتبى لأنهم يجدون فى كتابتى صورة لأحلامهم، وتعبيرا شجاعا عن مشاكلهم التى لا يعترف بها أحد. أما الكهول والشيوخ والأمهات والجدات فهم يستحضرون بشعرى تذكارات حبهم، وحكايات عصرهم الجميل.

أما الذين يمتنعون عن قراءتى ويخاصمون كلماتى، فهم الذين ماتت حواسهم الخمس، وتوقف جهازهم العصبى عن العمل.

• هل أثرت بإقبال الجنس الآخر على إبداعك غيرة الرجل الشرقى؟

وكيف تتصرف إزاءها؟

هل الرجل الشرقى غاضب عليك، لأنك حرضت المرأة عليه فكرهك الرجل وأصبح هناك ود مفقود بينك وبينه؟

ـ طبعاً.. طبعاً... لايمكن لأى رجل شرقى أن يحب شعرى أو يحبنى. لأن الإقطاعى لايمكن أن يحب من يأخذ منه أرضه، ويصادر محاصيله، وأراضيه الزراعية. فمن الطبيعى إذن أن يثور الباشوات لأننى حرمتهم من امتيازاتهم التاريخية.

• هل غيرت كلماتك التشجيعية للمرأة من مفاهيم الرجل الشرقى فى تجاه المرأة أو غيرت من السلوك والعادات؟

ـ الشعر وحده لا يستطيع أن يجعل من التمساح حمامة.. ومن جمال باشا السفاح غزالاً..

لابد من حركة ثقافية يشترك بها المفكرون، والمبدعون، والمصلحون، والروائيون، والمسرحيون، والجامعيون، والجامعيات، لكسر جدار برلين الذى لا يجرؤ أحد على الاقتراب منه.

إن القصيدة هى أحد الأصوات فى جوقة الغاضبين، ولكنها وحدها لا تستطيع أن تثقب جدار الأسمنت بمنقارها الرقيق.

• عالمة الذرة والطبيبة والمهندسة، هل تجاوزن الرجال، وتفوقن عليهم في عقر ديارهم.. وهى الانفراد بالعلم؟

- نحن متفوقون دائماً عندما نخرج من بلادنا.. والمرأة العربية الباحثة أو العالمة أو الطبيبة أو المهندسة، يتعامل معها الغرب بكل احترام وتقدير، لأن العقل لا جنسية له.

وعندما تعود العالمة العربية إلى بلادها، ترتطم مرة أخرى بجدار الذكورة.. والتمييز.!

• هل استطاعت المرأة الأوروبية أن تعقد هدنة مع الرجل الأوروبى، وحصلت على الحرية، وتتعامل معه بندية؟

ـ لا يوجد فى أوروبا شىء اسمه حاجز الذكورة والأنوثة.. فلا العمل هناك له جنس.. ولا الجهد الإنسانى له جنس.. ولا العدالة الاجتماعية لها جنس.

- **هدباء وزينب كيف ربيتهما، وماهي القيم التي حرصت علي غرسها فيهما وما الذي منعتهما منه؟ هل استطعت أن تكسر جدار الخوف، خوف البنت من الأب، وعقدت معهما صداقة عميقة وصريحة إلي أبعد الحدود حتي فيما لا يقبله الآباء؟**

ـ كل ما أستطيع أن أقوله إن هدباء وزينب نشأتا فى بيت ديمقراطى، ليس فيه قمع، ولا تسلط، ولا إرهاب..

الحوار بينى وبينهما كان دائماً حواراً صحياً ومنطقياً، فى إطار مجتمع عربى معتدل ومثقف لا يقبل الجنون ولا الفلتان، ولا الطفرات الإباحية.

أما حرية هدباء وزينب، فقد كانت حرية التعبير، وحرية الاختيار، فى نطاق الالتزام بكرامتهما الشخصية. وكرامة أبيهما وعائلتهما.

لا أحترف الإثارة!

قلت لنزار :

- **أشم فى شعرك رائحة الإثارة. هل تنفى هذا؟**

أجاب الشاعر:

ـ أنا لا أحترف الإثارة مع احترامى لإحساسك وحاسة الشم التى تعتز بها. أنا أرمى أوراقى على الطاولة بشجاعة وألعب بكل رصيدى.

أنا رجل ـ ياعـزيزى ـ يرفض أن يلعب لعـبـة الحب خلف الكواليس، لذلك كتبت قصائد حبى على أشجار الحدائق العامة. أردت أن أنهى مرحلة السرية والأحكام العرفية المفروضة على المرأة.

● ديوان كامل فى الحب،

هل أردت أن تضع قانوناً للناس فى العشق؟

ـ اسمع. الشاعر الذى ينفى الآخرين من أرضه هو شاعر يحاول تقبيل نفسه، القصيدة عندى قبلة ينفذها اثنان. الشاعر وجمهوره، الناس هم البداية والنهاية فى كل كلمة تطرح على الورق. إنهم شعبى وأنا لا أستطيع أن أحكم فى جزيرة من الأشباح. إنهم المرآة التى أرى فيها أبعاد وجهى. وأنا بدون الآخرين لا وجه لى.

• القصيدة والمرأة. هل ثمة علاقة فى رأسك؟

- القصيدة المكتوبة عندى، هى امرأة جاءت، والقصيدة التى أنتظرها هى المرأة التى لم تحضر بعد!

• شعر الحب عندك. يا أستاذ نزار. فيه (الحس) بل هو أحيانا (الحس) ذاته.

- أنت تطالبنى بأن احتفظ بنقائى ونظافة ملابسى فى منجم فحم، تطالبنى بأن أرتفع بفكرة الحب إلى مرتبة عالية جداً.. هذا ضد بشريتى!

وأريد أن أقول لك إن شعرى هو تاريخ للعلاقات العاطفية فى بلادى.. نعم، فأنا قبل كل شيء وبعد كل شيء، جسد يتعرض لألوف الضغوط التاريخية والوراثية التى يتعرض لها إنسان المنطقة، ومع هذا فقد ساعدنى الرحيل على التخلص شيئا فشيئا من هذه التركة التى كنت أحملها، وهذه المسيرة نحو الحب الأنقى هى مسيرة إنسانية وطبيعية.

• هل بإمكان الشعر أن (يتطوع لإنقاذ العالم) من مشاكله وعاهاته؟

قال نزار :

- الإنسان مهما لعب بورقة العقل ومهما قامر بالأيديولوجيات ومهما تغلغل فى دهاليز الارتعاشات الهيستيرية ومهما طحنته عجلات العصر، فسوف تبقى

فى داخله منطقة لا تستطيع أن تصل إليها حسابات الكومبيوتر ومعادلاته، إن العودة إلى الشعر شىء حتمى فى حضارة تغتال نفسها بنفسها وتأكل منجزاتها. وفجيعة الشعر الأساسية أنه دخل فى نطاق البرمجة ومشاريع السنوات الخمس!

• حياتك وشعرك...؟

- حياتى وشعرى ملتحمان كما اللحم بالعظم ولا يمكن فصلهما إلا بالموت. حياتى كلها مصورة ومفرغة فى هذا الإناء الذى هو شعرى، أنا لم أترك تجربة واحدة من تجاربى، مهما كانت صغيرة فى العتمة، كل تجاربى أطلقتها كالعصافير فى السماء ولم يبق عندى عصفور واحد محنط على جدران عالمى الداخلى.

بياتك الشتوى!

سألت الشاعر الكبير :

• هل يداهمك البيات الشتوى،

فتتوقف عن الكتابة، وتتقصف قلمك وتمزق أوراقك، وتهاجر من غرفة مكتبك؟

- هذا شىء طبيعى جداً، فالأرض الزراعية لا بد لها أن تستريح .. والربيع ينتظر فى باطن الأرض تسعة أشهر، حتى يبدأ الرسم بالأخضر، والأحمر،

والأزرق، والبرتقالى مرة أخرى.. والينابيع تنام خلال فصل الصيف ثم تنفجر جداولا وأنهاراً.

والقصيدة تخضع للقوانين ذاتها... فبعد مغامراتها الطويلة مع الورق ومع الحياة.. لابد أن تأخذ إجازة تريح فيها أعصابها، وتتناول خلالها خمسين فنجانا (اكسبرسو).. وتدخن خمسمائة سيجارة.. وتبلع أنبوبا كاملا من فيتامين (C) قبل أن تبحر مرة أخرى فى بحر المفاجآت.

إننى لا أقلق أبدا حين تمر بى حالات الجفاف هذه، لأننى أعلم أن المياه الجوفية فى داخلى تتجمع.. حتى تنفجر فى أية لحظة.. وتفجرنى معها...

• الشعر له رسالة ثقافية، أم سياسية، أم اجتماعية،

وشعر نزار قبانى ما رسالته.. بالتحديد؟

ـ وظيفة الشعر أن يغير العالم، وأن يزيد مساحة الجمال، ويقلل مساحة القبح.. وأن يجعل بحار العالم أكثر زرقة.. وغابات العالم أكثر ورقاً.. ومدن العالم أكثر حرية.. والإنسان أكثر إنسانية.

هذه هى رسالتى.. وأرجو أن أكون قد أوصلت هذه الرسالة.

• مفرداتك ثائرة، ومفردات الشعراء الآخرين مستكينة، وأحياناً حتى في الموقف الرومانسي الحالم ثائرة ومدمرة..

هل إحساسك بالحب عنيف.. يتخاصم مع الرقة مع أن المشاعر تسكن فيها الرقة لا العنف.. وقد يتقلص كم الرومانسية في ظهور العنف؟

- يا عزيزي مفيد.. ليست هناك طريقة واحدة للتعبير عن الحب وليس كل الرجال متساوين في الحب.. بعضهم يهدر كموج البحر.. وبعضهم يتمايل كغصن النعناع.. بعضهم يدق على صدره كطرزان.. وبعضهم يذوب حديثه مع حبيبته كقطعة الشيكولاتة..

أنا شخصيا لا أومن بالحب على طريقة مصطفى لطفي المنفلوطي.. ولا مارتين .. وألفرد ده موسيه.. ولست من أنصار الجيلو.. والشيكولاتة..

لا يعني هذا أنني من أنصار العنف في الحب.. ولكنني من أنصار المواقف الحاسمة.. وربما كان أجمل ما في الحب هو برقه، ورعده، وموجه، وعواصفه..

أما الذي يريد وجبة غرامية سريعة.. فليذهب إلى (ماكدونالد)..

كل جسد له ثوب!

• ولادة لغة جديدة هل تأتى بعملية قيصرية؟

وقد ولدت أنت لغة جديدة، ومفردات جديدة غريبة لها رنين قد تستهجنه بعض الآذان المتذوقة للشعر، وهو منبثق من كلمة شاعرية. شاعرية = شعر.

وشعرك العنيف بم تسميه؟

- اللغة لكى تكون لغة طازجة، ومتوهجة، ومثيرة للدهشة، تستغرق فترة الحمل فيها.. تسعين عاماً.. لا تسعة شهور.. العمليات القيصرية فى اللغة.. لا تنجب أولاداً أصحاء.. ولذا ترانى دائماً فى حالة حمل (لغوية).

أما قضية العنف فى التعبير فهى مرتبطة بالموضوع الذى نكتب عنه.. فلا يمكننى أن أكتب (قارئة الفنجان) باللغة ذاتها التى كتبت بها (هوامش على دفتر النكسة).

كل جسد له ثوب يليق به.. ومن المستحيل أن نفصل ثوباً واحداً لملايين الأجساد...

• اتهموك بالنرجسية، ولم تحاول أن ترفع عنك هذا الاتهام.. والسؤال لماذا؟ وهل تعشق ذاتك فى أعمالك؟

هل تعشق ذاتك، ذات نزار قبانى، أم أنك ترى ذاتك فى عيون الأخريات والآخرين.. وتعتبر القراء مجرد مرايا تعكس اسمك ورسمك؟؟

- النرجسية ضرورية لكل فنان مبدع، لأنها تشعره بالكبرياء والقوة والثقة بالنفس.

وأنا أعتبرها حالة صحية، لا حالة مرضية، لقد كان المتنبى نرجسياً كبيراً، لأنه كان شاعراً كبيراً.. يعرف من هو:

«وما قلت من شعر، تكاد بيوته

إذا كتبت.. يبيض من نورها الحبر...»

هذه نرجسية الشعراء الذين يعرفون مكانهم، كما يعرفون أنهم سلطة فوق السلطة.

وأنا لست سوى واحد من هذه السلالات الشعرية الشجاعة، والمسكونة بالعزة والكبرياء.. والتى لا تساوم على شرف الكلمة.



بهية المصرية : أمى!

« أنا فى مصر فى ضيافة قاهرة عمرو بن العاص وحدها! »

يعقوبة المصرية: أمي!

« نزار قبانى مولود ليكون شاعراً. لا يستطيع التنفس إلا من خلال قصيدة تغازله، فيستجيب لها فوق الورق وحين ينتهى من ميلادها، تنتشى كل مسامة بالحب! لا شيء فى الوجود يمنح نزار السعادة والنشوة والرضا.. غير كتابة الشعر، إن الحروف تطاوعه بيسر لا مثيل له، والكلمات، يأمرها بأن تتشكل كما يريد، فتلبى صاغرة، إنه (نحات) من نوع نادر ولهذا أسميه الشاعر النحات، ولهذا يغار منه الشعراء، ولهذا فهو الأكثر مبيعًا للدواوين، والأكثر شهرة من الماء إلى الماء! ونزار، اشتغل دبلوماسيا فترة، ولكن الدبلوماسية ثقيلة على قلبه، صحيح أنه يعتبرها فترة من فترات حياته، ولكن أثرها ليس غائراً فى نفسه كالشعر!

سألت:

● يا شاعرنا نزار قبانى بماذا تدين للرحيل؟

- أدين له بهذا التنوع وهذا الغنى فى قاموسى، وفى مفرداتى، وفى اتساع تجربتى.

لولا السفر لكنت وتد خيمة.. أو مسماراً مدقوقا فى الأرض.

ثقافة الكتب وحدها لا تكفى.. ولابد من (ثقافة الرحيل).. حتى لا يتحول الشاعر إلى فأر مكتبة. هناك شعراء يعشقون فى الكتب.. ويعانقون الكتب.. هؤلاء الشعراء لن يكون لهم ذرية.. لأن الحياة مع امرأة من ورق.. لا تعطى شعراً..

● متى سافرت أول مرة.. وإلى أين؟

- سافرت أول مرة عام ١٩٣٩ إلى إيطاليا فى رحلة مدرسية، وكان عمرى يومئذ ستة عشر عاماً.

● هل تعتقد بأهمية السفر بالنسبة للشاعر؟

- لا شاعرا حقيقياً بغير سفر.

● أى مدن العالم أحببت أكثر؟

- مدن الأندلس.

● ما المدن والبلاد التى أثرت فيك كإنسان وشاعر؟

ـ القاهرة ـ لندن ـ مدريد ـ بيروت ـ دمشق

من أجل أولادى!

سألت نزار قبانى

● لك فى القاهرة ذكريات عزيزة، وفيها صدرت مجموعتك الشعرية «طفولة».. الآن.. لماذا تبدو علاقتك بالقاهرة فاترة؟

ـ أجاب:

بهية المصرية هى أمى.. وأميرتى. وسيدتى وكل الذى حصل أن بعض الذين يظنون أنهم يحملون مفاتيح مصر.. خبأوا مفاتيحها فى جيوبهم.. واعترضوا على إقامتى فيها عام ١٩٨٢، بعدما اشتريت شقة فى الزمالك. وقررت أن تكون القاهرة مرفئى الأخير..

وأتذكر أننى كتبت فى ذلك الوقت مقالاً قلت فيه أنا فى مصر فى ضيافة قاهرة عمرو بن العاص. وحدها..

• لو لم تكن الدبلوماسية.. هل كان بوسع نزار قباني أن يواصل أسفاره؟..

- الدبلوماسية كانت عاملاً مساعدا فى كثرة أسفارى.. ولكن الشاعر المسكون بالطموح وحب المغامرة.. يستطيع أن يتعلق بجناح عصفور.. أو يسافر على ظهر سمكة.

• التمثيل الدبلوماسي تمثيلية لم يكن نزار يتقنها..

كيف أمكن أن تستمر فى لعب دورك ٢١ سنة؟

أجاب: نزار:

- تحملت الدبلوماسية ٢١ عاماً على مضض.. كما تتحمل امرأة غلاظة زوج لا يناسبها.. من أجل خاطر (الأولاد).. فقط..

(الأولاد) الذين أقصدهم من كلامى.. هم قصائدى.. لأننى خفت فى حالة طلاقى من الدبلوماسية أن يضيع الأولاد.. وأن يتشردوا بينى وبين أمهم.

كبر عقلك يا مفيد!

• قلت إن عالم السفارات متحف من متاحف الشمع، كل ما فيه مصطنع، ومزور، وغير حقيقى، وكل المعروضات مطلية بقشرة سميكة من التظاهر

والنفاق لا يمكن لأى دبوس أن يخترقها وقلت إن اللغة الدبلوماسية لغة عائمة لا تضىء شيئًا، ولا تعطى شيئًا...

هذا الرأى فى الدبلوماسية والدبلوماسيين، هل كنت تكتمه طوال عملك فى السلك الدبلوماسى؟

أجاب:

لا ياسيدى، لم أكن أكتمه .. فالكتمان ليس مهنتى.

- **ألم يتغير هذا الرأى بعد المواجهة السلمية فى المنطقة.. وهى المواجهة التى يقع العبء الأكبر منها على عاتق الدبلوماسيين.**

ـ يا مفيد.. كبر عقلك.. أى مواجهة سلمية؟ أى دبلوماسية؟ أى دبلوماسيين؟

- **كدبلوماسى.. ما رأيك فى المسيرة السلمية وهل آن الأوان بالفعل ليحل السلام فى المنطقة؟**

ـ أنا أولاً لست ـ لا سمح الله ـ دبلوماسيًا.. وإنما شاعر يكتب آراءه على حد الخنجر ...

إننى كشاعر مع سلام متكافىء، يعيد إسرائيل إلى حجمها الطبيعى، وحدودها الطبيعية كما كانت فى ٤ حزيران ١٩٦٧ ... ويجردها من مستعمراتها، ومخزونها النووى، ومخططاتها التوسعية .. وتعاليمها التوراتية التى تريد استعمارنا من النيل إلى الفرات..

- **من هو (عسكرى مرور) العالم الآن؟**

ـ العقيد بيل كلينتون..

لو حكمت العالم؟

- **هل انتحر النظام الشيوعى أم مات من التضخم؟**

ـ مات من فقر (الحرية)..

- **هل يختار الأمريكيون كلينتون مرة أخرى؟**

ـ قد يختارون هيلارى.. ولكن كلينتون لا..

- **هل شتمت الشعب المصرى يوماً ما؟**

ـ لم أتعود أن أشتم الثدى الذى رضعت منه.. ربما تخاصمت ذات يوم مع أحد الفراعنة.. ولكننى لم أتخاصم أبداً مع نهر النيل ..

● لو حكمت العالم يوماً.. ما أول قراراتك؟

ـ أستدعى أول حاكم عادل فى التاريخ وأكلفه بتشكيل أول وزارة ديمقراطية فى الوطن العربى.

● النظام العالمى الجديد.. هل هو جديد فعلاً ؟

ـ لا.. إنه النظام الاستعمارى القديم ذاته.. ولكن بعد أن أجرى عملية تجميل.

● هل السياسة هى فن الكذب المنمق؟

ـ السياسة هى الكذب ذاته.. دون حاجة إلى تنميق..

● ماذا فعلت الأقمار الصناعية لحكام العالم؟ هل هتكت السرية داخل بلادهم؟

ـ لا يحتاج بعض حكام العالم إلى من يهتك أسرارهم.. إن فضائحهم منشورة على حبال الغسيل..

● هل تعرف وزير داخلية إنجلترا فى عصر شكسبير؟

ـ لا أحد فى العالم كله يعرف هذا المجهول.. ولكن العالم كله يعرف اسم شكسبير.

العالم يحفظ اسماء الشعراء.. لا أسماء رجال البوليس.

● هل باستطاعة الشاعر أن يمارس السياسة وينجح فيها؟

ـ أنا أعتقد أن الشعر هو سلطة بحد ذاته.. ولا يحتاج الشاعر كى يحكم الأمة أن يكون رئيساً، أو وزيراً، أو رئيس حزب.. أو قائد ميليشيا..

فحزب الشعر هو حزب الأغلبية، ورئاسة الشعر هى رئاسة لمدى الحياة.. فإذا قارنا بين سلطة سيف الدولة الحمدانى، وسلطة أبى الطيب المتنبى وجدنا أن سلطة المتنبى هى التى بقيت.. فى حين لم يبق من سيف الدولة سوى سطرين فى كتاب التاريخ..

● من يملك (كاريزما) من حكام العالم؟

ـ الزعيم الأفريقى نلسون مانديللا.

● هل أنور السادات كان يسبق عصره فى الذهاب إلى القدس؟

ـ لاشك أن أنور السادات كان أول مغامر يشق البحر الأحمر.. ويهبط فى أحضان بنى إسرائيل..

أنور السادات اجتهد، وركب الطائرة إلى مطار بن غوريون عام ١٩٧٧.. وأنا أعتقد أن الاجتهاد من فضائل العقل البشرى ومن مزاياه، شريطة ألا يقفز المجتهد فوق حيطان التاريخ، وإرادة الأمة، وحق الشعوب بالتحرر، والسيادة، وتقرير المصير.

السادات اجتهد بنفسه، وقرر بنفسه، ونفذ بنفسه.. وكسر بالفعل جدار الخوف بيننا وبين إسرائيل .. وكسر معه رقبتنا.. حتى هانت المسألة فى التسعينيات، صارت قضية السلام (صحن شوربة) يشفط منه كل الجائعين. إلى كسرة خبز.. أو قطعة جبنة.. أوكمشة دولارات..

سألت نزار:

• مَنْ من رجال السياسة فى العالم تحب أن تتناول معه (غذاء كاملاً لأحوال الدنيا)؟

- شكراً.. شكراً .. فأنا رجل نباتى، ولا أجلس على طاولة واحدة مع أكلة لحوم البشر!!

كل واحد له صوته!

• يقول أنسى الحاج: «بعد زيارة كل شاعر يتغير العالم قليلاً أو كثيراً..»

كيف كان الشعر قبلكم. أنت وشعراء جيلك.. وكم تغير بعدكم؟

- من وجهة نظرى، غيّر شعراء الأربعينيات من لغة الشعر ومن نماذجه المكررة، وأخرجوه من قبضة الحكام ليجعلوه خبزاً شعبيًا فى متناول كل الطبقات. كسروا حجرية القاموس، وتكلموا بلغة الحديث اليومى، حتى صارت القصيدة تصل إلى كل الناس كالجريدة اليومية.

• مَنْ شعراء جيلك؟.. وكيف كانت علاقتك بهم؟

ـ المرحلة التى كتبت بها كانت مزدحمة بأسماء لعبت دوراً ريادياً فى تاريخ الشعر، ومنهم فى العراق، نازك الملائكة، وبدر شاكر السياب، وبلند الحيدرى، وعبدالوهاب البياتى، ومن سورية عمر أبو ريشة، وأدونيس، وسليمان العيسى، ومن لبنان سعيد عقل، وصلاح لبكى، ويوسف غصوب، وأمين نخلة، وبشارة الخورى، ومن مصر، محمود حسن إسماعيل، وعلى محمود طه، وإبراهيم ناجى، وكامل الشناوى، وصلاح عبدالصبور، وأحمد عبدالمعطى حجازى. وأمل دنقل. وعلاقتى بهم جميعاً كانت طيبة.

• ما رأيك فى الشعراء العرب: أدونيس، أحمد عبدالمعطى حجازى، وسعدى يوسف؟

ـ كل واحد من هؤلاء له صوته. وبصماته، وخطابه الشعرى، ولا يحق لى أن أتدخل فى التفاصيل، لأن هذا من عمل النقاد لا الشعراء.

• أنت شاعر كبير.. هل أنت شاعر محظوظ؟

ـ ليس فى الشعر. وفى الفن بصورة عامة. شىء يسمى الحظ.. أو المصادفة.. أو البخت..

فالعمل الإبداعى. هو حصيلة عمل، وجهد، وتعب، وثقافة، ومعاناة.. وتجربة طويلة.

فالقصيدة ليست ورقة يا نصيب تخرج لنا من الكيس.. وإلا لأطلعت لنا دواليب الحظ فى آخر كل شهر.. فرزدقاً.. أو جريراً.. أو متنبيًا.. أو شكسبيرا.. حسب الطلب

على أن هناك. بالإضافة إلى الموهبة الأولى، عناصر أخرى لابد من توافرها لنجاح الشاعر ومنها (الكاريزما) وفن العلاقات العامة.. ونبرة الصوت.. والتألق فى قراءة شعره.. وكل هذه الأشياء يتعلمها الشاعر مع الزمن والمران.. ماعدا (الكاريزما) أو الجاذبية الشعرية، فهى هدية من عندالله.

- **باستثناء شعراء المقاومة الفلسطينية، لماذا لم يتح إلا لك وبعض شعراء جيلك أن يبلغوا ما بلغتم من الانتشار والشهرة؟**

- لأن بعض الشعراء يعرف كيف يوصل شعره إلى الناس.. وبعضهم لا يستطيع أن يقنع أية ذبابة «موجودة» فى القاعة، أن تصغى إلى كلامه..

الجمهور هو الذى يصنع شاعره، ولا يمكن لشاعر غير مقنع أن يستولى على جمهوره بقوة السلاح..



مايكل جاكسون... أمير الشعراء!

"النقاد يغارون من الشعراء كما تغار امرأة من امرأة أجمل!"

مايكل جاكسون... أمير الشعراء!

يروق لى من فرط حب نثر نزار قبانى ان اتأمله بشئ ما من العمق، فإن جمالياته تلفت النظر، والنقاد تناولوا قصائده الشعرية دون أن يتوقفوا عند نثره الجميل.

نثر نزار الذى يرد به على أسئلة الحوار الطويل، ليس مهرجان حروف وكلمات، يسير فى شارع اللغة مختالا بالتشبيهات والاستعارات، مزهوا بما يرتدى من الكنايات الجميلة الملونة!

نثر نزار أبعد من هذا وأعمق. نثره (مهرجان معان) والكلمات والحروف، أعلامها!

نثر نزار، لغة نزارية خاصة، اخترعها وصار من السهل معرفة أسلوبه مهما اختبأ وراء إصبعه!

نثر نزار شديد البساطة، والسهولة واليسر ولكنه مملوء بالفكرة والمعنى والإشارة!

نثر نزار (وسيلته رقم٢) فى التعبير عن نفسه، أما الوسيلة رقم واحد فهى الشعر.

نثر نزار يستنفده لأنه (ينحت) من الحروف اشكالاً جديدة من اللغة فى الكلمات التى تطاوع معانيه.

نثر نزار (هدية استثنائية لمحبيه ومريديه وقراء دواوينه الشعرية.

وأعود إلى أطول قصيدة اعتراف بالنثر،

سألت نزار قبانى:

● هل انتهى عصر الشعراء النجوم.. ولماذا؟

ـ لأن قمر الشعر دخل فى منطقة الخسوف.. وصار مايكل جاكسون هو أمير الشعراء.. فى النظام العالمى الجديد.

● تقول إن الشعر هجمة مباغتة. تنسحب قبل أن نستطيع اللحاق بها، هل يعنى هذا أنك لم تكتب بعد القصيدة التى تتمناها؟

ـ يوم يقتنع الشاعر بأن قصيدته الأخيرة.. هى بدر الدجى، وشمس الشموس .. فاقرأ على شعره السلام. إننى منذ خمسين عاماً أنبش كالدجاجة فى تراب اللغة.. بحثاً عن قصيدتى الأجمل.. ولكننى لم أعثر عليها حتى الآن.

طرزت صدرها بالأوسمة

● أعرف أنك تضيق بالتسميات. وبتسمية (شاعر المرأة) أكثر من غيرها. لكن الا تعتقد أن هذه التسمية بالذات وراء كثير من شهرتك؟

ـ المرأة سيدتى، وقمرى، ولكننى لا أسمح لأحد أن يقول إننى خرجت كسيارة المرسيدس من مصانعها!

وإذا كانت المرأة علقت على صدرى وساماً.. فقد طرزت صدرها بعشرات الأوسمة!!

• قلت إنك اعتمدت فى شعرك (لغة ثالثة) تجمع بين رصانة وانضباط الفصحى، وحيوية وحرارة العامية، توفيق الحكيم قال كلامًا كهذا.. ويوسف إدريس أيضا.

ما ضرورات استخدام هذه اللغة؟ وهل هناك فرق بينها فى الشعر، وبينها فى القصة القصيرة والرواية والمسرح؟

- كل مبدع فى بلادنا العربية، لابد أن يكتشف أننا نكتب بلغتين، ونتكلم بصوتين.. أى أننا فى بيتنا، ومع زوجاتنا وأولادنا نتكلم بلغة.. وفى المدارس والجامعات والندوات الفكرية، وفى الحوارات الصحافية والإذاعية والتليفزيونية نخلع ثيابنا الأولى لنرتدى لغة ثانية مكوية ومنشاة.. هى اللغة الفحصى.

مثل هذه الازدواجية كانت تشغل بالى.. مثلما شغلت بال توفيق الحكيم ويوسف إدريس. لذلك قررت أن أردم هذه الفجوة العميقة، وأكتب (بلغة ثالثة) تكون قادرة على اختراق الحاجز التاريخى بين اللغة الأكاديمية التى تتكلمها الأقلية المثقفة.. واللغة الملأى بالنبض والحرارة والحياة التى تتكلمها الأكثرية.

وقد توصلت بعد خمسين عامًا من الشغل إلى صنع لغة شعرية قادرة على ملامسة أحاسيس الرجال والنساء، الكبار والصغار، الأثرياء والفقراء، المثقفين وأنصاف المثقفين.

وإذا كنت قد وصلت إلى كل بيت عربى من المحيط إلى الخليج.. فالفضل يعود بالدرجة الأولى إلى هذه اللغة.

• نزار قبانى شاعر ساهمت الأغنية العربية فى انتشاره ونجوميته. هل أنت مستمع جيد للأغانى؟ وأى الأصوات العربية أحب إليك؟

ـ لاريب أن الأغنية لعبت دوراً كبيراً فى إطلاقى إلى كل الآفاق. والسبب هو أن الشعب العربى يقرأ بأذنيه.. والمواطن العربى الذى لايستطيع أن يشترى كتابا.. بإمكانه بسهولة أن يسمع قصيدة من قصائدى على راديو الترانزستور الموجود فى جيبه.. أو فى سيارته.

أيظن؟

استطرد نزار:

ثم إننا شعب يهزه إيقاع الكلمة المغناة.. أكثر مما تهزه قراءة القصيدة فى جريدة.. أو فى كتاب.

والقول بأن (الأذن تعشق قبل العين أحياناً) هو قول صحيح جداً.. من عصر إسحق الموصلى إلى عصر أم كلثوم.

أما أنا (فسميع) من الدرجة الأولى، ولكن ذوقى (دقة قديمة). فأنا مرتبط ارتباطا عميقا بأصوات تاريخية عظيمة كأصوات عبده الحامولى. ومحمد عبدالوهاب، وأم كلثوم، وليلى مراد، وفايزة أحمد، وعبدالحليم حافظ.

● كيف حدثت مصادفة الأغنية الأولى؟

ومن كان أول سفرائك إلى المستمعين؟

ـ الأغنية الأولى التى انفجرت انفجاراً خرافيًا فى الوطن العربى هى أغنية (أيظن) التى تغنيها السيدة نجاة بلحن الموسيقار محمد عبدالوهاب.

هذه القصيدة التى تشبه القصة القصيرة. كتبتها عندما كنت دبلوماسياً فى الصين ١٩٥٨ ـ ١٩٦٠. وأرسلتها إلى الفنانة نجاة دون أن أعرف ماذا ينتظرها.

وعندما وقعت القصيدة بين يدى موسيقارنا العظيم محمد عبدالوهاب تمسك بها.. وأمسك العود وبدأ التلحين.

ولم يكن أحد يتصور أن قصيدة بسيطة الصياغة والتعابير مثل (أيظن) سوف تطغى على كل الأحداث السياسية والاجتماعية فى العالم العربى.. وتصبح النشيد القومى لكل العاشقين.

• غنت لك أم كلثوم وعبدالحليم حافظ وفيروز ونجاة.. من غنى قصيدة نزار كما تمنى هو أن يغنيها؟

ـ عبدالحليم حافظ.. فقد كنت أشعر فى أعماقى أنه هو الذى كتب قصيدتى.. وهو الذى غناها.

• هل تغنى أحيانا؟ فى الحمام مثلا؟

ـ أغنى فى كل مكان.. فى المكتب.. فى المطبخ.. فى الحمام.. فى الشارع العام.. فى السيارة.. على التليفون.. حتى أحقق حلمًا طالما راودنى فى طفولتى..

وهو أن أكون مغنياً.

• هل تسمع أغانى الشباب؟

وأى الأصوات الجديدة ترشحه ليغنى لك؟

ـ لا أحب أحداً.. ولا أرشح أحداً.. وليبحثوا عن ضحية أخرى غيرى.

• من يعوض المستمع العربى الآن عن كبار مطرياتنا ومطربينا الراحلين والمعتزلين؟

ـ يمكن أن تعوض الإنسان عن قطعة أرض صودرت. أو عن سيارة سرقت، أو عن مبلغ من المال ضاع منه، ولكن من الذى يعوضه عن سقوط عصر ذهبى كامل أمام عينيه؟

ساندوتشات ماكدونالد!

● القصيدة لماذا اختفت تقريباً من ساحة الأغنية؟

ـ لأن ذوق المستمع العربى صار يفضل ساندويتشات (ماكدونالد)!!

عدت بنزار إلى الوراء قليلاً على طريقة الفلاش باك.

● أستاذ نزار. كم كان عمرك عندما كتبت أول قصيدة؟

وماذا كان رد فعلك؟

ـ كان عمرى ستة عشر عامًا. وكنت مسافراً فى رحلة مدرسية على ظهر مركب من بيروت إلى إيطاليا.. كنت واقفا على ظهر المركب مبهوراً بزرقة البحر، وتراقص الأمواج، ومطاردة أسماك الدولفين للمركب.

فكرت أن أقول شيئا.. ولكننى لم أعرف ماذا أقول؟ وبأى لغة أقول؟ وتمنيت لو ينشق البحر.. وتخرج لى من بين الأمواج سمكة قزحية الألوان.

وهكذا استجاب الله لدعائى.. وخرج لى أول بيت من الشعر من تحت الماء.. ثم خرج البيت الثانى.. والثالث.. والعاشر حتى اكتملت رحلة الصيد.. ونمت مع أسماكى لأول مرة فى حياتى.. شاعراً

• **هل تتذكرها؟**

- لا.. لا أتذكرها.. ولا أريد أن أتذكرها.. لأنها بالتأكيد لم تكن سمكة من نوع السولومون ولكنها كانت سمكة سردين .. أو سلطعانا بحرياً

• **كيف تحكم عليها الآن؟**

- صعب أن أحكم على سمكة سردين اصطدتها منذ أكثر من خمسين عاماً.

كبر عقلى!

• **هل تتابع زوايا الحظ والأبراج؟**

- عندما كنت مراهقًا كنت أستفتى زوايا الحظ والأبراج فى الصحف والمجلات.. وأفرح أو أحزن.

وبعد أن كبر عقلى.. واتسعت تجاربى.. صرت أعرف مشاعر النساء عن ظهر قلب.

• قلت إنك درست القانون، ولم تترافع إلا فى قضية واحدة هى قضية المرأة.. ولم تدافع إلا عن برىء واحد هو الشعر..

هل كسبت القضية؟

- قضية الشعر ربحتها.. أما قضية المرأة فهى لاتزال أمام محكمة الاستئناف!!

• قلت إن التجديد فى الشعر لم يبدأ بكم..

لكن هل انتهى بكم؟

- لايحق لنا أن نغلق الأبواب فى وجه الأزهار الجديدة، والعصافير الجديدة. فأرض الشعر لايحتكرها شاعر واحد أو مجموعة شعراء. إنها رحم لايتوقف أبداً عن إنجاب الأولاد والمواهب.

• تكشف سيرتك الذاتية (قصتى مع الشعر) عن سوء ظن شديد بالنقد والنقاد.. لماذا؟

- لأن النقاد يغارون من الشعراء، كما تغار المرأة من امرأة أجمل منها.

وماقلته عن النقاد سبقنى إليه الشاعر الفرنسى شارل بودلير حين كان جالساً ذات يوم على مقعد فى غابة بولونيا فى باريس، يستمتع بالهدوء، ويتأمل مفاتن الطبيعة وأسراب العصافير والعشاق

وبينما هو مستغرق فى أحلامه وتأملاته، حط غراب فجأة على الشجرة التى يجلس تحتها بودلير وعندما رآه الشاعر أشار إليه بسخرية قائلاً:

«هو ذا ناقد أدبى قد حضر».

• هل تضيق بالنقد ولاتتقبله،

أم أنك كنت قليل الحظ مع النقد والنقاد؟

ـ إننى أعتبر نفسى دائما تلميذاً يريد أن يتعلم. ولم أقل يوما إننى تخرجت من مدرسة الشعر.. فالشاعر الذى يتوقف عن الاجتهاد والمذاكرة ويكتفى بأن يعلق دبلوم الشعر على حائط بيته.. يحيل نفسه إلى التقاعد.

إننى مع كل نقد متحضر يتناول النص الذى أكتبه.. أما عندما (يخرج الناقد عن النص) ويتناول أصلى، وفصلى، وتاريخى، ويتهمنى مرة بالإباحية.. ومرة بالشعوبية.. ويصدر فتوى بسفك دمى.. فهو ناقد (مخابراتى) أو (بوليسى).

• شعراء جيلك ومنذ قصائدهم الأولى، كانوا متورطين بشكل أو بآخر فى السياسة.

انت لم تكن كذلك، على الأقل فى دواوينك الأولى؟

ـ فى بداياتى الشعرية، كنت أعتبر قضية الحب (عقدة الأفاعى) فى مجتمعنا العربى، وكنت أرى أن المرأة هى أرض مستعمرة، وأنه لايمكن أن يتحرر الوطن ما لم تتحرر المرأة أولا .. ثم بدأت أكتشف مع تقدم العمر والثقافة، أن المجتمع العربى مطحون بألف عقدة وعقدة .. فنقلت خندقى إلى الجبهة السياسية والاجتماعية.

نموذج عبدالوهاب

● **الطفولة ـ كما تقول ـ من مفاتيح شعرك.**

وفى طفولتك رأيت العساكر وهم يأخذون والدك إلى المعتقل فى عربة مصفحة بتهمة مقاومة الانتداب الفرنسى.

كيف حدث أن هذا لم ينعكس فى شعرك؟

ـ فى ذلك الوقت المبكر كنت أسقط غضبى فى المظاهرات والمسيرات الطلابية .. كما كنت أومن بنظرية (الأدب للأدب)، التى كانت تطلب من الشاعر أن يتفرغ للشئون الجمالية، والرومانسية، والذاتية .. ويبتعد عن كل ما هو غير شعرى، كالخطاب السياسى، أو الأيديولوجى، أو الديماجوجى.

● **هل تساير الموضة، وتحضر عروض الأزياء؟**

ـ ملابس الفنان جزء من شخصيته، وهى انعكاس لفكره وذوقه وطريقته فى الحياة .. أنا لا أوافق على الرأى القائل إن على الفنان أن يكون فوضويا وبوهيمياً وغريب الثياب حتى يكون فناناً .. فالفن ليس مرادفاً (للبهدلة) ..

يقول نزار:

إننى أعتبر الموسيقار العظيم محمد عبدالوهاب نموذجا للفنان الأنيق، النظيف، الذى يحترم جسده ويحترم عيون الناس، وذوق المجتمع.

أنا شخصيا، استفدت كثيراً من اختلاطى بـ محمد عبدالوهاب وأخذت كثيراً عن نظامه الدقيق فى حماية جسده وحماية عقله.

أما عن الموضة، فأقول إننى أحب أن أكون جزءاً من عصرى، وأن أكون دائما محتفظاً بلياقتى الخارجية حتى أكون على مستوى الشعر الذى أكتبه.

- **عندما تلتقى شخصاً للمرة الأولى، هل تحكم عليه من مظهره؟**

ـ لا .. إننى أحكم عليه بعد أن يتكلم

- **مظهر الشاعر.. هل يعنى شيئا للجمهور؟**

ـ الجمهور بطبيعته لايحب القبح ولا المناظر المنفرة .. والملابس الاستعراضية.

والمظهر الخارجي للشاعر هو جزء من قصيدته .. ومثلما يعتنى الشاعر بترتيب كلماته .. وموسيقى قوافيه .. عليه أن يهتم بنظافة قميصه، ونظافة أصابعه، ويبدو على المنبر طازجاً كالوردة، ومرتفع الجبين كالنخلة.

مشكلة الحداثيين

• تقول إن أزمة الشاعر الحديث الأولى هى أنه أضاع عنوان الجمهور.

هل هذا رأى فى شعرنا الحديث، أم أنك تغمز الحداثيين؟

ـ إننى لا أغمز أحداً .. ولكننى أحاول أن أثبت حقيقة تاريخية، وهى أن الشعر العربى منذ الجاهلية حتى عصر النهضة، ومنذ امرئ القيس حتى أحمد شوقى، كان له اتجاه. وهدف ورسالة .. أى أنه شعر كان له عنوان معروف، وهو الشعب العربى كله.

لذلك يصعب على أن أتصور شعرا عربيًا حديثًا لايخاطب أحداً .. ولايقنع أحداً .. ولايعبر عن أفراح وأحزان أحد.

إن صوت الشاعر لابد أن يصطدم بجدار بشرى ما .. يثبت أنه حى .. أما الصوت الذى لايصطدم بشئ .. فهو ليس سوى حشرجة لغوية لاصدى لها.

إن مشكلة الحداثيين أنهم لم يكتبوا رسالة حب واحدة لأى مواطن عربى .. فكيف يريدون من الشعب العربى أن يحبهم.. إذا كانوا يجهلون أدب المراسلة؟

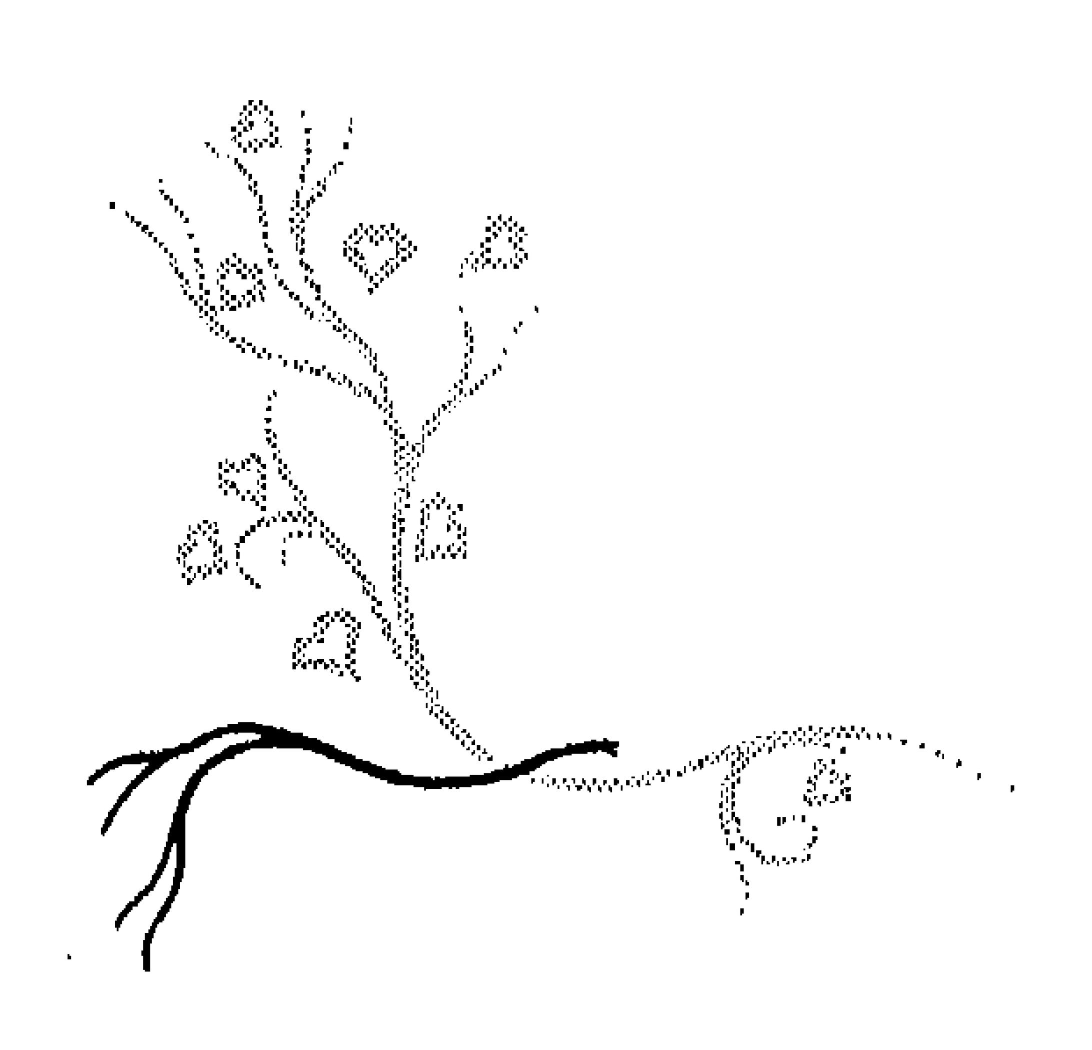
• مَن مِن الشعراء العرب الجدد يستلفت انتباهك.. ولماذا؟

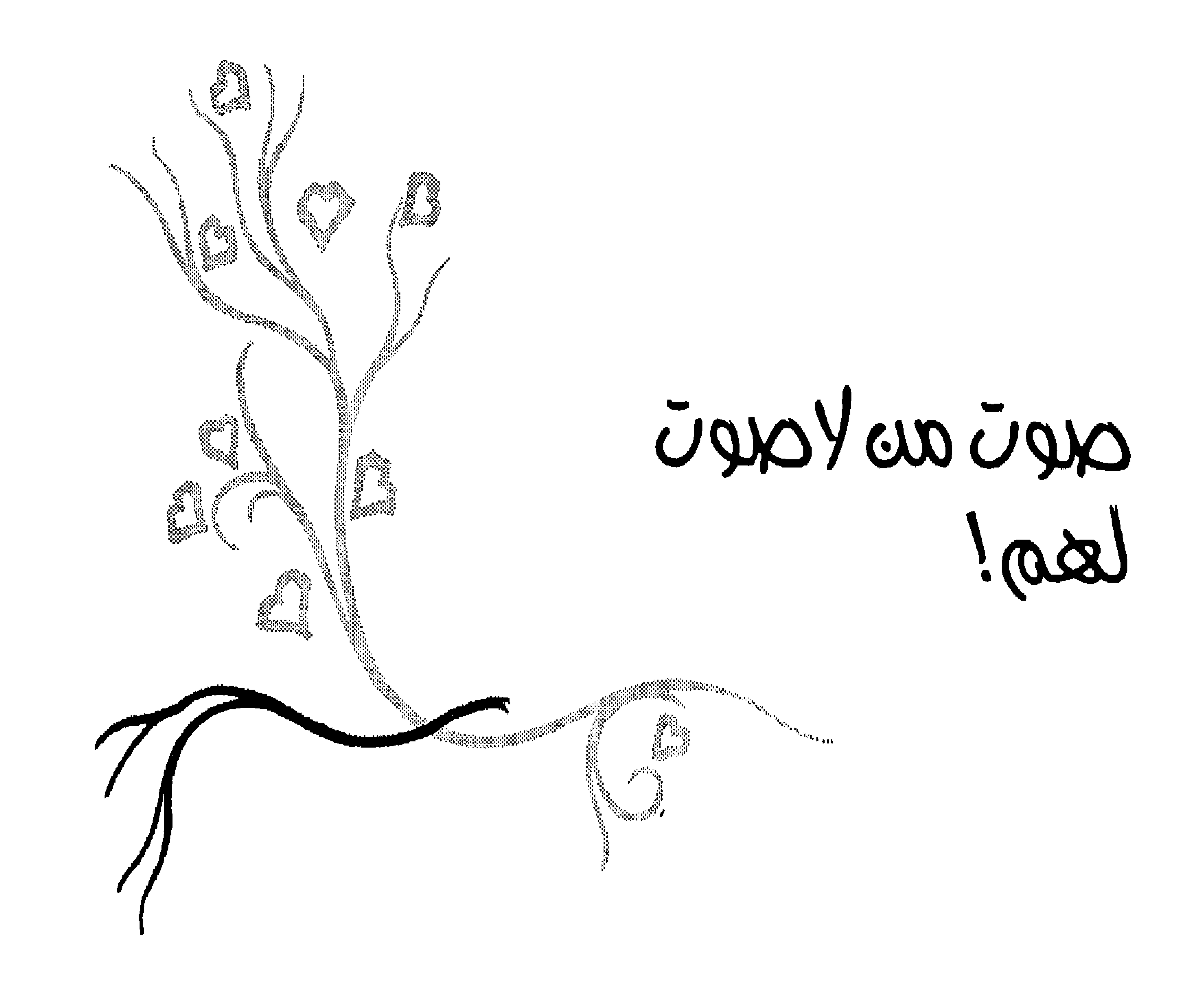
أجاب نزار:

- محمود درويش هو الشاعر الوحيد الذى أعطى الحداثة بعداً جماهيريا، وأعطاها شعبية لعبة كرة القدم.

محمود أبحر فى سفينة الحداثة. دون أن يخون تراثه، ودون أن يخون جذوره.. ودون أن يخون موسيقى الشعر.

إنه يتجدد فى كل لحظة.. دون أن يقدم أية تنازلات ثورية، أو أيدولوجية أو لغوية.





صوت من لا صوت لهم!

« قائمة التهم التى وجهت لى تكفى لإعدامى خمسون مرة!! »

صوت من لا صوت لهم!

لا أحد مثله، حتى من فرسان النثر، قادر على العزف على بيانو المحسنات البديعية فى اللغة العربية! إنها «سوناتا خاصة» من المعزوفات النزارية!

وقد كنت عبر حوارنا الطويل أو «قصيدة الاعتراف المطولة» أسأله عن «الكلمة» وكان بإمكان نزار قبانى أن يجيب إجابة قصيرة تقليدية وترضينى.

لكن الشاعر «فنان استثنائى» يغمس فى محبرة الجنون. ويكتب فوق ورق الورد، ولا يقصد إبهارى متعمدا، لكنى أحس بالانبهار ولا أخفيه!

فماذا قال نزار قبانى عن الكلمة: «لا أعرف ما هى الكلمة. كل الذى أعرفه أنها تفرحنى وتبكينى «وتكتبنى وتمحونى. كل الذى أعرفه أنها تتزوجنى بلا عقد ولا مأذون ولاشهود وتطلقنى بعد خمس دقائق لتتزوج شاعراً آخر!»

إنه نزار قبانى، وهذا سر خصوصيته كشاعر، وأكاد أفهم سر «غيرة» الشعراء منه، وسر «الحرب» عليه إنه شاعر نجم رغم أنف الحقد والحاقدين بل هو نجم الشعراء، ومع ذلك كنت تصادميا، وكان لى سؤال لم يتوقعه عن .. الشعر!

• سألت الشاعر الكبير: نسمع أن الشعر يتراجع.. وأن الرواية هى ديوان العرب الجديد. هل توافق على هذا الطرح؟

أجاب:

ليس الشعر وحده هو الذى تراجع.. إن كل مواقعنا القومية والأيديولوجية، والنضالية، والثقافية، والوحدوية، والفنية.. تراجعت .. حتى استغرب التراجع من تراجعنا.

إننى لا أشغل بالى بمثل هذه التسالى الثقافية. لأنها مضيعة للوقت.. وإذا كانت الرواية قد أصبحت (ديوان العرب) فإن هذا خبر يبهجنى.

أليس جميلا أن يبقى للعرب ديوان .. أو (ديوانية) واحدة، يمكنهم أن يشربوا القهوة فيها.

• فى المعركة التى تدور الآن حول قصيدة النثر، المعركة التى لا تكاد تختلف عن المعركة التى دارت حول قصيدة التفعيلة، والتى تبدأ من العروض واللغة، وتنتهى إلى الاتهام بالعمالة والخيانة وحتى التكفير..

• أنت في صف من؟

ـ أنا من حزب الشعر .. فقط. وأما قصيدة النثر فلا أخوّنها ولا أحلل دمها.

قلت :

بماذا تفسر اتساع مدى التطرف فى بعض دولنا العربية؟

قال :

لسبب هو التمسك الأعمى بالسلطة وعدم إتاحة الفرصة للرأى الآخر بأن يعبر عن رأيه.. السبب هو نرجسية بعض الحكام الذين لايرون فى المرآة غير وجوههم.

سألته:

جرت مؤخرا محاولة لاغتيال الكاتب الكبير نجيب محفوظ،

وجرت قبلها محاولات الاعتداء على الكتّاب وفنانين فى مصر والجزائر.

هذه المعركة بيننا وبين التطرف، كيف نكسبها فى رأيك؟

أجـــاب:

أفاد الذى أغمد السكين فى رقبة كاتبنا الكبير نجيب محفوظ أنه لم يقرأ كتابا واحدا له.. هذا يعنى أن الأمية هى التى تغتال المثقفين.. لذلك فإن الحل يكون بتحرير الأميين من أميتهم، وإخراجهم من الجهل؟ الذى يعيشون فيه، ويخضعون فيه للسحر والشعوذة، وغسيل الدماغ ليلاً ونهاراً.

لاحل إذن إلا بتعليم كل الناس، وتنويرهم وفتح النوافذ أمام عقولهم. فما دامت نسبة الأمية فى بلادنا تبلغ ٨٠٪ من مجموع عدد السكان.. فإن الإرهاب سيظل وراءنا.

• هل حدث أن هاجمك بعض النقاد وشككوا فى شاعريتك أو وطنيتك أو عروبتك أو إسلامك؟

ـ قائمة التهم التى وجهت ولاتزال توجه إلىّ تكفى لإعدامى خمسين مرة.

ومع هذا فلا أزال أكتب وأنا أنزف.

• فى الثمانينيات حملت أنت على شعراء السبعينات ووصفتهم بأنهم طغمة من الهيبيين جاءوا من العدم..

وشككت فى شاعريتهم وانتماءاتهم..

تغير مواقع؟ أم تغير أفكار؟

أنا ضد كل الشعر العدمى سواء كتبه شعراء السبعينات أو الثمانينات أو التسعينات. إنه موقف من اللاشعر.. لا أحيد عنه.

هذه الخلطة الكيميائية!

• خاصمت المسرح الشعرى رغم إعجابك به.. لماذا؟

وماذا عن دور عبد الرحمن الشرقاوى وصلاح عبد الصبور ولماذا تحب مسرح اللغة العامية.. الدارجة؟

لأن المسرح بالأساس وجد من أجل الشعب، وتلبية لحاجة شعبية . وربما كان مسرح (الحكواتى) هو المسرح الأكثر صدقا وعفوية من كل مسارح النخبة. فلماذا لانترك هذا الفن الشعبى البسيط، على بساطته وبراءته وتلقائيته.. ونحاول تحويله إلى درس للصرف والنحو.. أو إلى (مجمع اللغة العربية) ؟؟

● لم يعط الشعر هالة النجومية لكل الشعراء لكنه أعطاك النجومية، كل النجومية..

فما إحساسك تجاه النجومية التى أعطاك الشعر إياها.. وحرم الآخرين من زملاء سلاح الشعر؟

لا أتذكر تفاصيل هذه الخلطة الكيميائية التى جعلت منى نجمًا.. ولكن الأمر بالتأكيد لم يكن فى يدى.. فكما فى مباريات السباحة، والركض، وكرة القدم، والشطرنج.. والمسرح.. والسينما.. هناك نجوم متوهجة، وأخرى أقل توهجا. فكذلك فى الشعر، حيث يسرق المتنبى الأضواء.. ويلبس أمير الشعراء أحمد شوقى (الريدنجوت) فى داره (كرمة ابن هانئ) ويذهب حافظ إبراهيم بالجلابية إلى البقاء فى حيه الشعبى ليشترى علبة سجائر.

• ماهى النجومية؟ من أين تأتى؟

من الذى يعطيها؟ من الذى يحجبها؟

أسئلة فى غاية الغموض، والتعقيد، والصعوبة لايعرف جوابها إلا الله.

أسأله بلا تردد ودون تزويق السؤال:

المبدع قد يكرر نفسه وعطاءه عبر المشوار، هل حدث أن كررت نفسك شعراً ونظما وعبارات؟

يجيب بهدوء كله ثقة:

كل مبدع فى العالم لديه مخزون من الكلمات، والألوان والأشكال والتعابير، يغرف منها. وقد قيل إن لغة شكسبير التى كتب بها جميع مسرحياته لاتتجاوز أربعمائة كلمة.

بالإضافة إلى هذا فإن لكل مبدع هويته، ولغته التى كونها خلال عشرات السنين، فالجاحظ له لغته، وابن المقفع له لغته، وطه حسين له لغته وتوفيق الحكيم له لغته، ونجيب محفوظ له لغته، ولايمكن للكاتب أن يقفز كل يوم من لغة إلى لغة.. وإلا تحول إلى بهلوان بالنسبة لى، فقد كونت خلال خمسين عاما من العمل الشعرى، لغة لها رائحتها،ونكهتها الخاصة، أطلق عليها بعض النقاد (اللغة النزارية).

هذه اللغة النزارية ليست لغة معصومة من الإعادة والتكرار، لأنها ككل اللغات تموج وتهدأ، وتقف وتتحرك، وتصحو وتمطر، ويتساقط ورقها ثم ينبت لها ورق جديد.

• **يتعرف الناس على إنسان من ملامح وجهه،**

ويتعرف الناس عليك من ملامح شعرك..

ما الذى أكسب شعرك هذه الخاصية المحددة اللون والطعم والرائحة؟

- هذه ميزة أفاخر بها، وقد سبق لأستاذ فقه اللغة العربية فى جامعة دمشق، الأستاذ محمد سعيد الأفغانى أن قال عن لغتى : لو سقطت ورقة غير موقعة من جيب نزار قبانى فى الأتوبيس لحملها الراكب إلى بيته.

هذه شهادة أعتبرها من أعظم الشهادات، لأنها صادرة عن عالم فى اللغة يؤكد على تفرد لغتى الشعرية وخصوصيتها.

• **مأساة لبنان هل انتهت من شرح أبعادها وآثارها على الشخصية العربية والوجدان العالمى، أم أن هناك كلمات ورصاصات وقذائف موجهة لم تفصح عنها فى سطورك؟**

- ماقلته فى بيروت شعرا ونثراً وغناء.. لم يقله شاعر آخر، لأن بيروت أعطتنى زوادة من الشعر، تكفى لمائة عام، كتبت فى المأسة اللبنانية كتابى شعر ونثر هما (إلى بيروت الأنثى مع حبى) و (يوميات مدينة كان اسمها بيروت).

ولم يعد هناك مبرر لإشعال الحرائق من جديد، لأن السلام عاد إلى لبنان، وأرجو أن تعود بيروت قريبا لتلعب دورها الثقافى والحضارى والريادى، فى حوض البحر الأبيض المتوسط.

صوت من لا صوت لهم

- **مأساة مصرفى (هوامش على دفتر النكسة) قلت عنها كما لو كنت عشتها بالفعل..**

ما الجديد عن مصر تود أن تصرخ به شعرا؟

تعبت من الصراخ.. لأن صراخى على مايبدو يفسر على صورة لاعلاقة لها بالشعر ولابالنثر.. كل ما أريد أن أقوله، أن غياب مصر عن دورها القيادى فى العالم العربى، أخل ميزان القوى فى العالم العربى. وأن كل التمزق، والتشرزم، والضياع الذى حدث فى المنطقة كان نتيجة لهذا الغياب.

نحن بحاجة إلى مصر قوية، ومستقرة، ومؤثرة حتى نستطيع أن نعبر بوابة القرن الواحد والعشرين.

- **سلاحك الكلمة ـ السكين التى تشق الورق من الوريد إلى الوريد..**

وأي إنسان آخر أعزل من سلاح الكلمة بم يدافع عن نفسه،

وكيف يوصل معاناته للناس؟

إذا كان من أهمية للشاعر، فهو أنه صوت من لاصوت لهم.. والناطق الرسمي بلسان المقهورين، والمحرومين، والجائعين إلى الخبز والحرية.

وإذا كنت أنا أملك قلما يشق الورق.. فإن كل إنسان على وجه الأرض، يملك أظافره، وأسنانه، وإرادته التي باستطاعته أن يحفر بها لحم المستحيل.

وإذا كان الشاعر طليعة متقدمة، فإن من يقرأون الشعر هم الكتائب الرديفة التي بإمكانها أن تغير كروية الأرض، وتصنع النهار.

● **هل الشاعر من الممكن أن يغير موقفه في كل زمان وأوان؟**

ـ الشاعر موجة دائمة السفر، وليس نصبًا تذكاريًا أو تمثالاً واقفًا على قاعدة من الحجر.

ولأن الشاعر مصنوع من مادة الحرية، وعناصر الريح، وحركة الفصول، فإن الخيارات تبقى أمامه دائما مفتوحة.. شريطة أن يبقى دائما ملتزما بصوت وجدانه، وأن يظل صديقا للمثل الأعلى، وللإنسان وللحرية.

● متي تحس بالعجز عن التعبير بالكلمات المنظومة؟

ما الذى يخرس صوتك؟ وأنين قلمك ماذا يسكته؟

ـ عندما يصبح الخنجر أكبر من مساحة الجرح.. أسكت.. وعندما تصبح الرصاصة هى اللغة السائدة أضيع لغتى.

● الكلمة قنديل مضىء.. أم أن الكلمة نزيف جميل؟

أم أنها طوفان يغرق بسيول الصدق؟

لا أعرف ماهى الكلمة، كل ما أعرفه أنها تفرحنى وتبكينى.. وتكتبنى وتمحونى.

كل ما أعرفه أنها تتزوجنى بلا عقد.. ولا مأذون.. ولاشهود.. وتطلقنى بعد خمس دقائق لتتزوج شاعراً آخر.

أكبر من أحجامهم!

قلت :

إن الشاعر يستطيع أن يلغى نجوماً وأن يخترع نهاراً جديداً..

ألا تعطى الشعراء أكبر من أحجامهم الطبيعية.. والمعقولة.. والمقبولة؟

أجاب نزار قبانى:

على العكس .. إننى أتواضع فى وصف سلطة الشعراء وقدراتهم الخارقة.

فما دمت أستطيع بقصيدة من قصائدى أن أطلع النهار من عينى حبيبتى.. وأقطف أزهار القطن من بساتينها وأجعل نهر النيل يفيض على ركبتيها.. فلماذا لاتصدقونى؟؟

- **الوطن العربى وطن مسكون بالشعر،**

والإنسان العربى دورته الدموية شعر، فلو غرسنا دبوسا فى لحم أى إنسان عربى لتدفق منه سائل بنفسجى اسمه الشعر..

نحن نولد شعراء.

لماذا لم تقل نحن نولد علماء، ومن بيننا العلماء فى كل مجال من مجالات الحياة؟

قال نزار قبانى:

شرف كبير أن نكون من أمة تلد الشعراء لا العلماء.

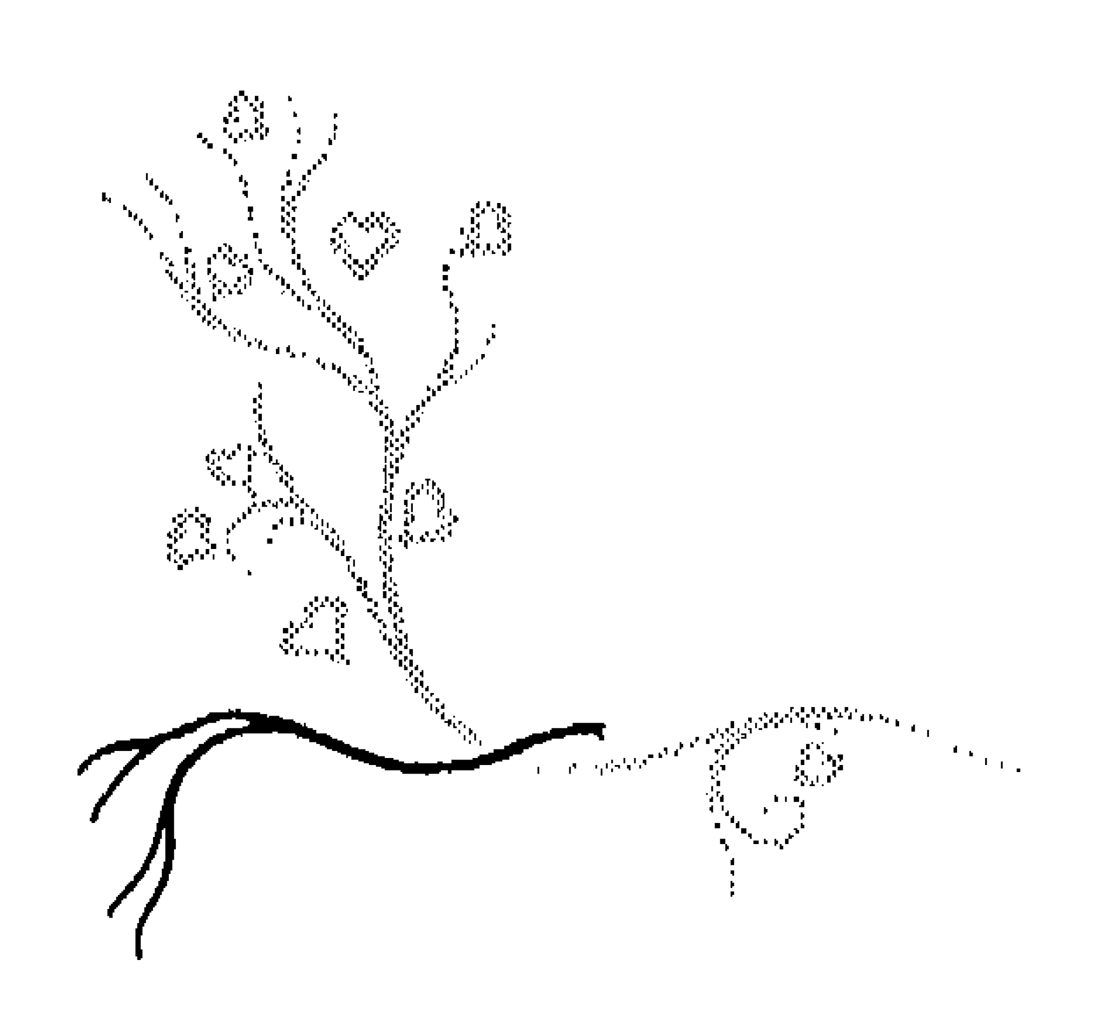
ثم استطرد يقول :

هل سمعت يوما يابانيا يقول بأنه من أمة تصنع سيارات (التويوتا) .. أو أجهزة (سونى) ؟

وهل سمعت يوما ألمانيا يفاخر بأنه يصنع (المرسيدس) ؟

وهل سمعت يوما إيطالياً يفتخر بأنه يصنع جبنة (الروكفور) ؟

ربما ـ يامفيد ـ كنا متخلفين تقنيا، ولكن شعريا من أرقى شعوب الدنيا.





المرأة تصطاد السياسى!

" لم أفكر أبداً فى التأمين على .. أصابعى "

المرأة تصطاد السياسي

اين كنت؟!

كنت فى «زيارة طويلة» مـرت كلمح البـصـر لقلب كبير، عزفت الأمال والآلام على أوتاره، لكنه حول هذه العـذابات فنًا يسكن وجـدان الشـعب العـربى ومـازال يقيم!

كنت اقضى «جلسة طويلة طويلة» مع صديق فتح لى ولكم قلبه على مصراعيه، حرضته على البوح، فباح، حرضته على الكلام، فتكلم وكانت الحصيلة (اطول قصيدة اعتراف).

كنت فى «مغامرة» داخل (منجم) شاعر، يمتلئ بـ «ذهب» المعانى و«فضة» الحروف، وعشت أحلى أوقات العمر وأنا أتذوق بعينى وبأذنى هذه السبائك النادرة من اللغة.

كنت فى «بحر فنان قذيفة» اقوم بإبحار بين شواطئه وكان البحر سلسا، وعذبًا وكان قاربى فيه مجدافان، أحدهما الصبر والثانى الإرادة. وأظن أن إبحارى الطويل كان إضافة أو على حد قول الشاعر الكبير نزار قبانى (الجزء الثانى من قصتى مع الشعر).

ها هو قاربى يقترب بهدوء من الشاطئ. و«لم أكف عن السؤال» على حد تعبير سناء البيسى التى نصحتنى يوما: (لاتكف عن السؤال).

سألت الشاعر الكبير:

الكتابة شبه المنتظمة للصحف، هل هى فلسفة للوصل مع الناس؟

قال:

نعم الكتابة للصحافة بجرعات معقولة، لاتؤذى .. ولكن الجرعة إذا زادت.. أصابت الكاتب بالتسمم.

• **هل التمثيل مهنة ملائمة لك.. لو لم تكن شاعراً؟**

- ليس من طبيعتى .. أن ألبس الأقنعة. وأتكلم بصوتين.. لذلك لا أعتقد أننى أستطيع أن أكون ممثلاً ناجحاً.

رائحة الحطب!

• **متى تلجأ إلى الصمت، كموقف فى حياتك؟**

- عندما يكون من أكلمه، أقل من مستوى الكلام.

• **فى أى عصر من عصور التاريخ تمنيت الحياة؟**

- فى عصر الشمعة .. والموقدة.. ورائحة الحطب.

• **ما هى أحلام يقظتك فى هذا العمر؟**

– أن أستيقظ صباحا، وأجد تحت مخدتى قصيدة جديدة.

فجأة قطعت الحوار والإبحار وسألت نزار:

● **هل أرهقتك بالأسئلة؟**

أجاب:

الأسئلة الذكية لاترهقنى.

● **هل مللت الحوار؟**

– منذ ربع قرن، وأنا أتحاور معك يا عزيزى مفيد ولم أمل.

● **هل تعرضت لفكرة الموت فى قصائدك؟**

– نعم كتبت عن الموت فى كل المراثى التى كتبتها لأبى، ولولدى الراحل توفيق وللحبيبة الراحلة بلقيس.

نجيب محفوظ قال لى (لا أخاف الموت) ولكننى أخاف المرض..

– هذا صحيح لأن الموت يحسم الأمور، بينما المرض يتركها معلقة.

● **فى تونس، كل امرأة حبلى يقولون أنها ستلد شاعراً،**

هل شعرت بهذا فى أمسياتك الشعرية؟

– نعم .. شعرت بهذا فى أمسية شعرية فى مدينة النبطية فى جنوب لبنان، حيث كانت الأمهات يرضعن أطفالهن خلال الأمسية الشعرية حتى أحسست بأن القاعة التى كنت ألقى فيها شعرى تحولت إلى مستشفى للولادة!!

● قلت لى مرة أنك مخذول فى قوتك الجسمانية، رغم عافيتك النفسية، هل هى شيخوخة الشاعر؟

– شيخوخة الشاعر تبدأ حين تشيخ أصابعه ويتوقف جهاز الالتقاط فى عينيه.. وفى ذهنه.. وبالنسبة لى، فما دامت أصابعى تتحرك فأنا بخير.

● كيف تقاوم موت الشاعر فيك؟

– أقاومه بكتابة الشعر.. فالموت لم يستطع أن يسكت المتنبئ، وشكسبير وغوته وهوميروس وبودلير، ورامبو رغم مرور مئات السنين على غيابهم.

المرأة والسياسى

● من الذى اخترع الصدق؟

– الأطفال.

● إمارة الشعر.. من. بحق. يستحقها؟

- عصافير الكنارى.

• ماذا يرهقك من الناس؟

- كلامهم عن أنفسهم.

• لم أعرف رؤية شاعرنا فى اختراع (الدش) ..

وفى جاذبية محطاته.

- الدش أروع اختراع صنعه الإنسان لأنه قتل الرقيب.

• كيف تفسر سحر المرأة فى السياسيين واستقالات بالجملة من حكومات.. هل السياسى نمط يسهل تأثير المرأة؟

- المرأة تصطاد السياسى، لأنها تريد أن تكتب مذكراتها.

• ما تعريف الضمير عند نزار قبانى؟

- الضمير هو ذلك الصوت الداخلى الذى نتحاشى أن نسمعه.

قلت:

عبودية عصرية تمقتها: ماهى؟

قال:

التليفون النقال (Mobile) فى يد الثرثارين والمراهقين.. والعاطلين عن العمل.

يأستاذ نزار:

• هل تصلح المرأة.. حاكما؟

– لماذا نرفض أن تحكمنا النساء؟

أليست صوفيا لورين أجمل وأعدل.. وأكثر ديمقراطية من الرفيق تشاوتشيسكو؟

أليست ايلينا ميركوى أكثر ثقافة من الرفيق ستالين؟

• قصيدة لا تعترف بها؟

– لا أعترف بقصيدة لى لاتفتح ثقباً فى الأوزون.

• أهم إنجازات الشاعر نزار؟

– من أهم انجازاتى أننى جعلت الشعر جمهورية .. شعبية.. ديمقراطية.

● هل دخلت يوما بيت الطاعة كشاعر؟

– الشاعر الذى يقبل أن يدخل بيت الطاعة.. يخسر بكارة الشعر.

التأمين على أصابعى!

● هل الشعر مادة ترفيه عن الإنسان فى زمن الضغوط؟

– القصيدة ليست جهازاً لتكييف الهواء ولكنها السكنى فوق خط الاستواء.

● هل تؤمّن كشاعر على أصابعك؟

– خلال خمسين عاما كتبت ألوف القصائد الانتحارية ولم أفكر أن أؤمن على أصابعى لدى أية شركة تأمين.

● المرأة هاجسك الأبدى؟

– كانت المرأة دائما حبيبتى وسوف تبقى دائما حبيبتى.. لكننى أضفت إليها (ضرة) جديدة تدعى الوطن.

● أنت ممنوع فى بعض الدول؟

– أنا ممنوع فى كل مكان.

إذن .. فأنا مقروء فى كل مكان.

• صف لى نوعية «شهرتك» العريضة؟

– الشهرة ذبحتنى.

كيف بوسعى أن أكون مع مائتى مليون عربى فى وقت واحد؟

• هل اشتهرت بشدة عندما غنوا قصائدك؟

قال نزار قبانى:

– عندى رأى لا أخاف أن أعلنه:

وهو أن الموسيقار محمد عبدالوهاب هو الذى جعل أمير الشعراء أحمد شوقى .. شهيراً ومقروءاً على امتداد الوطن العربى. لا العكس.

ولولا محمد عبدالوهاب لبقيت (ياجارة الوادى). و(علموه كيف يجفو فجفا) و(ردت الروح على المضنى معك) و(ياناعما رقدت جفونه) و(مضناك جفاه مرقده) (ياشراعا وراء دجلة).. مطروحة مع ألوف الدواوين على سور حديقة الأزبكية.

وأتصور أن أمير الشعراء، كان أيضا (أميرا للعلاقات العامة) وكان ذا حدس مستقبلى رهيف.

لقد كان يشعر فى أعماقه أن شعره «المكتوب» سيكون جزءاً من تراث عصر النهضة، ولكنه كان فى نظرى يتطلع إلى ما بعد عصر النهضة، بل كان يريد أن يكون موجوداً فى كل العصور.

وعندما استمع أمير الشعراء للمرة الأولى إلى صوت محمد عبدالوهاب الجميل الجديد، الواعد، أدرك أن هذا الصوت سيكون جسره إلى الجماهير، ومفتاحه إلى الأزمنة القادمة.

إنها صفقة تاريخية مدهشة.

ربح فيها محمد عبدالوهاب كنزاً من القصائد، وثروة شعرية لا تقدر بثمن.

وضمن فيها أمير الشعراء أحمدى شوقى كرسيا دائما فى كل العصور.

مايا وردة جميلة!

• ماذا قصدت من قصيدة مايا الطويلة المطرزة بدانتيلا الأحاسيس والأشجان؟

– مايا وردة جميلة خطر ببالى أن آخذ الكاميرا الشعرية.. وأصورها.

أنا لست معقداً أمام الجمال..

ولامايا معقدة أمام الكاميرا..

كل وردة تحب أن تتـعطر. وأن تتكحل وأن تلبس خـواتمهـا وأسـاورها وأن تتصور.

هذه هـى غريزة الورود..

هل رأيتم فى حياتكم وردة فى شهر إبريل .. تلبس (الشادور) ؟

مايا من عائلة فينوس.. وعشتار.. وأفروديت وكل الجميلات المنحوتات من الضوء والرخام.. فلماذا تدخل فينوس إلى متحف اللوفر وتدخل مايا إلى سجن أبو زعبل؟؟ لماذا؟

● **هل نعامل المرأة - فى زماننا - بحضارة؟**

- قبل أكثر من ١٥٠٠ سنة، كتب شاعر جاهلى اسمه النابغة الذبيانى قصيدته الشهيرة (المتجردة).

إنه لم يكن يقصد امرأة عادية، بل كانت زوجة النعمان بن المنذر ملك الحيرة. ومع هذا لم تغضب المرأة ولم يغضب زوجها.

فهل كان الجاهليون أكثر حضارة منا فى تذوق الشعر الجميل؟؟

● الجنس لدى المرأة؟

– الجنس لدى المرأة استيطان ولدى الرجل سفر.

● المرأة وبيت الطاعة؟

– ثمة نساء يعتبرون بيت الطاعة مريحاً كفندق (دورشستر).

● هل هناك فرق بين كلمة تعيش وتتعايش؟

– المرأة التى تتعايش مع رجل تكرهه تشبه السمكة التى تتعايش مع صنارة الصيد.

● هل تؤمن بكلام الأبراج فى الحب؟

– المرأة تتزوج الغول، بعد أن تستشير النجوم، والأبراج، وفناجين القهوة.

وبعد أن يأكلها الغول.. تخرج من بين أضراسه لتتزوجه مرة ثانية!!

● الفرق بين المرأة والقطة؟

– المرأة .. والقطة لهما قضية واحدة لا تحل إلا بالأظافر.

● متى ندخل نادى المتحضرين؟

– لن ندخل إلى نادى المتحضرين .. مالم تتحول المرأة لدينا من شريحة لحم.. إلى معرض أزهار.

● **هل تفضل المرأة حباً واحداً يكفيها؟**

– المرأة تكتفى بعصفور واحد والرجل مقاول نساء.

● **الفرق بين جسد الرجل وجسد المرأة؟**

– جسد الرجل يحمل جواز سفر دبلوماسياً وجسد المرأة يحمل تذكرة مرور صالحة لسفرة واحدة فقط إلى زوجها.

أنا شاعر تصادمى!

● **قيمة الشاعر؟**

– لا قيمة لشاعر لا يحدث شغباً داخل اللغة.

● **هل أنت شاعر تصادمى؟**

– إننى شاعر تصادمى إذا لم أجد من أتخانق معه، تخانقت مع ورقة الكتابة.

● **إحساسك بالمتنبى.. أريد أن أعرفه؟**

– يقرأ أبو الطيب المتنبى شعره فى (هايد بارك كورنر) فى لندن.. فيطلب منه الأطفال الإنجليز أن يوقع على دفاتر أوتوغرافاتهم، حتى يخبروا رفاقهم فى المدرسة أنهم شاهدوا شكسبير لابسا عباءة.

● عرب المنفى كيف تراهم؟

– أصبح عرب المنفى أكثر من عرب الداخل. حتى صار يحق لهم أن يحصلوا على مقعد فى هيئة الأمم المتحدة.

قلت للشاعر نزار قبانى:

● هل فى الأسئلة (نبرة استفزاز) لك ؟

– لا تشغل بالك.. فحياتى الشعرية كلها هى مسلسل استفزازات.

● هل لديك سؤال خاص توجهه لى، وأنا أختم حوارنا معاً؟

– نعم .. لماذا يا عزيزى مفيد لا تترك الصحافة وتشتغل وكيل نيابة ؟

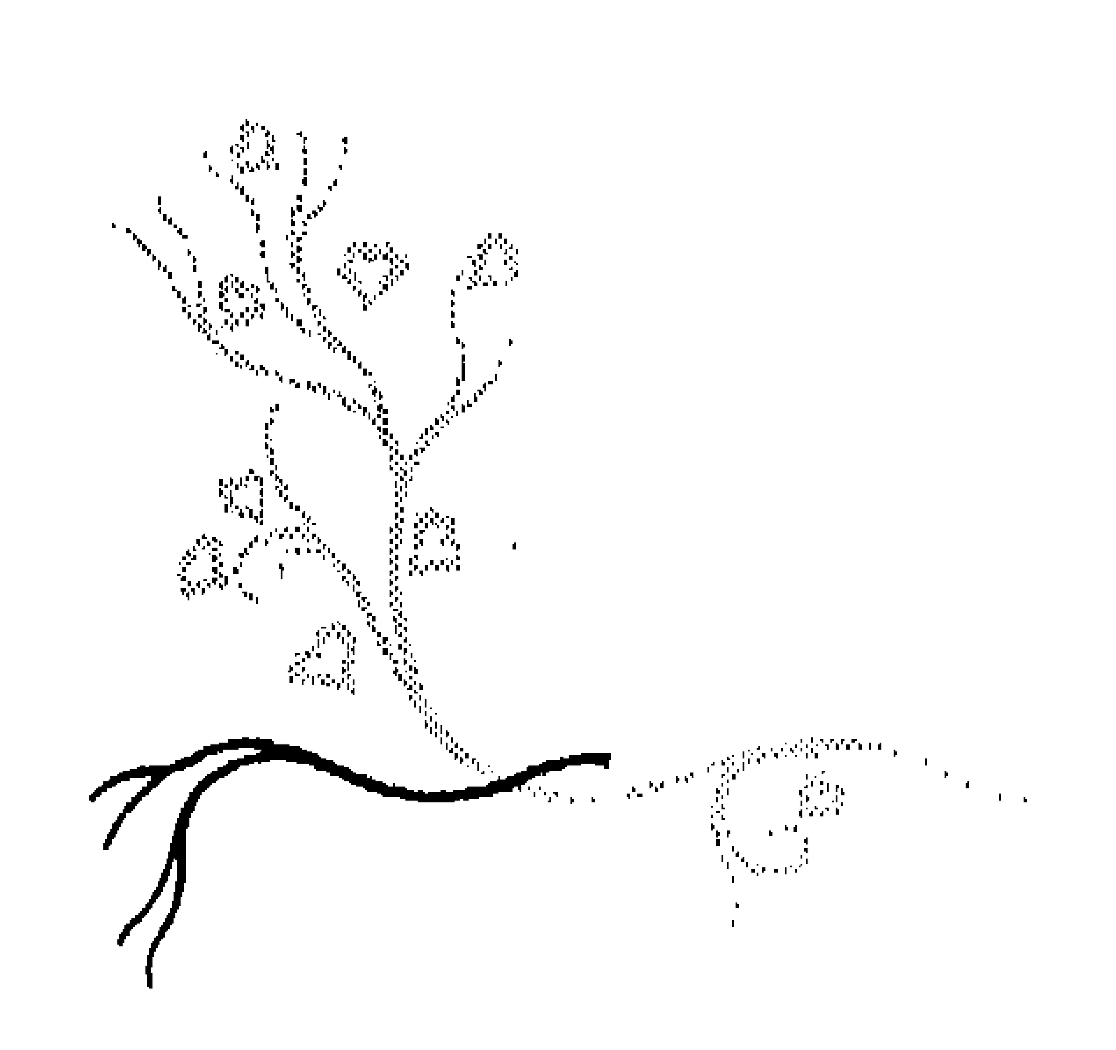
مع آخر فنجان قهوة نرشفه فى بيت نزار فى لندن.

قلت:

اختطف الموت أعز الناس لديك الأب، الابن، الزوجة،

كيف تعاملت مع الموت في كل مرة؟

ـ صمت نزار وقال: ليست هناك استراتيجية للتعامل مع الوت.. فالموت يطرق بابنا بلا موعد .. ويأخذ أحباءنا بلا استئذان، وليس أمام المرء سوى أن يرضى بما كتب الله.. ويوقع على صك الاستسلام.. بلا نقاش.





نحن ندفع ضريبة الإبداع!

" لا أعترف بقصيدة لي

لا تفتح ثقبا في الأوزون "

نحن نذوق عذرية الإبداع!

لهذا الحديث، حكاية:

وتهادى نهر الحوار بيننا فى أمسية جميلة، وكانت مضيفتنا ابنته التى تقيم معه الآن. وفجأة تحشرج صوت نزار وأشار لى أن أوقف المسجل. وقال وهو يتكلم بصعوبة: إنها آلام «الدسك»، عذاب فقرات الظهر! وجمعت أوراقى ولكنه سألنى: هل تبقى الكثير من أسئلتك؟

● أنت الآن تسكن فى لندن بعد طول رحيل،

ماذا تعنى لك هذه المدينة؟

كيف ترسم لنا علاقتك معها؟

نزار:

لندن علمتنى كيف أحب اللون الرمادى. حين دخلتها عام ٥٢ كان جسدى مغطى بالغبار الصحراوى، وعندما اصطدمت بأول غمامة رمادية، تحول الغبار فى داخلى إلى ماء، ومثلما اصطدم الشاعر العربى ببساتين الأندلس وأشجارها ونوافير مائها، فتغير هو وتغيرت لغته وتغيرت صياغته وأشكاله الشعرية، اصطدمت أنا بالريف البريطانى فتغير خطابى الشعرى وأصبحت أكتب باللون الرمادى وأعشق باللون الرمادى. فى لندن تخليت عن بداوتى وركضت كطفل مبهور على أعشاب هايدبارك، وهولاند بارك وكانت حصيلة إقامتى اللندنية الأولى عام ٥٢ ـ ١٩٥٥، مجموعة شعرية بعنوان قصائد أعتبرها من أهم أعمالى الشعرية. علمتنى لندن أيضا، كيف أتحرر من صداع الجنس وكيف أنادى المرأة (يا صديقتى) بدلا من (يا عشيقتى) وكيف أذهب مع امرأة الى المسرح أو إلى المطعم أو إلى الكونشيرتو دون أن أستعمل أظافرى وأسنانى.

تعلمت - يا أخى - كيف أتأمل بطة سابحة فى بحيرة أو زهرة سابحة بعبيرها أو شجرة مزهوة بكبريائها.

● ما الفرق بين المرأة الانجليزية والمرأة الفرنسية فى عين الشاعر؟

نزار:

الفرنسية فضيحة معلنة . وأنا (ما باحب الفضائح المعلنة) أنا أحب أن أكتشف المرأة. لا أحب امرأة تعطى كل شيء من اللحظات الأولى.

مع المرأة الانجليزية ستارة ولا ينكسر بينك وبينها أى شيء ويبقى الوهم. وأنا أصر على كلمة الوهم.

نحن نصنع جمال المرأة وفتنتها ونشكلها بوهمنا. أنا أحب المرأة التى أصنعها مثل بجماليون!

● أنت محاط فى هذه المدينة بأباطرة الموضة والأزياء..

هل هى صفة، أم هذا اختيار شاعر؟

نزار:

لم أكن أعرف سلفا قيمة هذا الشارع، فإذا بى أكتشف فى كل خطوة أمشيها، أنى أمام فترينة لمصمم عالمى شهير من مصممى فرنسا. جميل أن يتوضأ

الإنسان بالجمال أو يتغرغر بالجمال صباح مساء . وهذا إضافة الى عملى الشعرى ، فعندما تلبس المرأة بشكل جميل وحضارى تزهو القصيدة ببطلتها !

● وبيروت (ست الدنيا) كما تقول عنها فى إحدى قصائدك، هل تفكر أن تعود إليها إذا عادت؟

نزار:

لو لم تسألنى عن بيروت لاخترعت حديثا عنها، ولكنى أثق فى أن بيروت التى أحببتها أنت يا مفيد وجمعتنا رحلة، لن تسقط سهوا منك. أنا لا أؤمن بأن الأشياء الجميلة تكرر نفسها. بيروت مثل الطفولة ومثل الأنوثة ومثل القصيدة ومثل رسائل الحب الأولى، لا يمكن أن تعود بذات الزخم والإيقاع. بيروت فراشة ربيعية طارت فى سماء البحر الأبيض المتوسط من الأربعينيات الى السبعينيات، ثم احترقت! كان جمال بيروت أكبر من قدرتنا على الاستيعاب، لأن بيروت كانت جميلة جدا وحضارية جدا، وليبرالية جدا فقد قتلناها لأننا فى المنطقة العربية نكره المرأة الجميلة والمدن الجميلة والكلمات الجميلة. بيروت كانت مدينة الحرية بلا منازع، ولأننا نكره الحرية والأحرار، فقد ذبحناها من الوريد الى الوريد واسترحنا.

● يبدو أنك كنت بحاجة للإطار العائلى.

ها أنت وابنتك معا فى بيت واحد.. ألازلت تشعر بوحدة؟

نزار:

كنت بحاجة لهذا الإطار العائلى كما قلت. ابنتى الثانية متزوجة وتقيم فى لندن على مقربة منى. لقد قطعت سنوات طويلة متوحدا مع شعرى، وأنا لا أنكر أهمية الوحدة للشاعر. فى چنيف كنت متوحدا أنا وبحيرة وبطة وعصافير وأوراق. اختنقت. وكان لابد أن استنشق بعض الهواء العائلى. فكانت زينب تدرس فى لوس انجلوس (الفاشيون ديزاين) تصميم الأزياء وأنهت دراساتها وجاءت الى لندن لتعيش معى. وابنى عمر يدرس الكمبيوتر فى بوسطن وسينهى دراسته بعد عامين وسوف يأتى لينضم إلينا.

● يأتى السؤال عن بلقيس طبيعيا فى سيناريو الحوار،

أسألك، بلقيس الزوجة والرفيقة والشهيدة الحاضرة الغائبة،

كيف تستحضرها بعد سنوات من رحيلها؟

نزار:

توقعت منك السؤال خصوصا بعد أن «فرشت» بسؤال سابق عن الإطار العائلى. متعة الحوار معك أنه (لوحة منسوجة) .

وأعود لسؤالك. بلقيس جزء من عمر ومن عيش مشترك ومن تاريخ. إنها نموذج نسائى لا يتكرر بسهولة. أهم ما فيها هو عقلها وكبرياؤها، وأنا لا أعترف بأية امرأة لا عقل لها، ولا كبرياء لها. كانت صديقة شعرى قبل أن تكون صديقتى، وكانت تقتسم الحياة معى نصفين واللقمة نصفين والقصيدة نصفين. لم تكن تغار من أحلامى ومن أوراقى ودفاترى، ولم تكن تعتبر قصيدتى «ضرة» لها ، بل كانت جزءا من مجدها الشعرى.

● هل عشت حبا تعطشت إليه،

هل لديك حنين ما بتعرف لمين؟

نزار:

أنا فى حالة حب لا ينتهى. وليس بالضرورة أن يكون حبا نسائيا. أنت تستطيع أن تحب كل الأشياء الجميلة. كانت المرأة دائما حبيبتى وسوف تبقى دائما حبيبتى.، لكننى أضفت إليها (ضرة جديدة) تدعى الوطن. وأنا خلصت إلى عدة حقائق مع المرأة. فالرجل العربى يمضغ الطعام بسرعة ويمضغ النساء

بسرعة، ولذلك فهو مصاب بقرحتين! والجنس لدى المرأة استيطان ولدى الرجل سفر! والمرأة والقطة لهما قضية واحدة لا تحل إلا بالأظافر! وحرية المرأة ليست مكياجا تضعه على وجهها للتجميل، بل هى (كوريدا) اسبانية، لابد فى آخرها من قتل الثور! وأدركت أننا لن ندخل إلى نادى المتحضرين ما لم تتحول المرأة لدينا من شريحة لحم إلى معرض أزهار. نعم جسد الرجل يحمل جواز سفر دبلوماسيا وجسد المرأة يحمل تذكرة مرور صالحة لسفرة واحدة!

● يا عزيزى نزار، أظن أن أمسيات المربد العراقى لم تكن لوجه الشعر؟

إننى أسألك بعد أن طال صمتك؟

نزار:

والله لم نكن نعرف هذا. كنا نذهب وكنا نفرح. ما كان أحد يتصور أن تنقلب الأمور الى عكسها. كنا نذهب ـ من منظورنا ـ لوجه الشعر لا لوجه الحاكم ولا لمديحه. وأنا فى حياتى لم ألق قصيدة فى المربد ولا فى غير المربد أمدح فيها حاكم البلد الذى أزوره.

أنا أقرأ قصائدى العنيفة والجارحة والصارخة وأحزم حقائبى وأمشى.

المربد كان عبارة عن موسم من المواسم الثقافية، وكنا نجتمع فيه بأصدقاء وشعراء من كل الدول العربية وربما كان هذا هو الربح الوحيد.

أما فيما يتعلق بى، فلم تكن قصائدى منبرية ولا تكلمت فى العنتريات ولا احترفت الكذب ولا لبس الأقنعة.

لم أرفع قبعتى لأى حاكم مهما كان شأنه، لذلك إذا كان المربد تحول الى شىء آخر أو هيىء ليجمع أصوات شعراء فهذا لم يكن فى الحسبان، حسبان أحد وأنا هنا أدافع عن جميع الشعراء ولا أدافع عن نفسى فقط. أعلنها لك: كل الذين ذهبوا للمربد بما فيهم أنا، ذهبوا لوجه الشعر!

• لماذا لم تكتب شعرا خلال حرب الخليج،

فى حين كان الناس ينتظرون سماع صوتك؟

نزار:

هذا سؤال جيد توقعت أن تبدأ به حوارك، ولكنى أحفظ طريقتك! إنك توحى بأسئلتك الأولى بالطمأنينة لمن تحاوره، ثم بهدوء شديد تدخل الى بيت القصيد!

السؤال لماذا لم أكتب شعرا خلال حرب الخليج؟

لأن قصيدة الشعر ليست غسالة أوتوماتيكية تغسل وتعصر وتنشف خلال نصف ساعة! العمل الشعرى عمل مسئول يتطلب الشغل الطويل والصبر الطويل حتى يصل إلى مرحلة الاختمار والنضج. أنا ضد الأعمال الانفعالية المسلوقة فى

الفن، والقصيدة ليست صراخا فى مظاهرة أو إعلانا انتخابيا أو تعليقا صحفيا سريعا فى جريدة يومية، إنها عمل ثقافى وتاريخى مسئول، وأنا لايمكن أن أخون تاريخى! كل الثورات التى مرت فى العالم لم تظهر آثارها على الورق إلا بعد سنين. خذ بيكاسو، عندما رسم لوحته المشهورة عن الحرب الأهلية الأسبانية عام ٣٢ رسمها فى باريس فى الخمسينيات أو الستينيات، بعد مرور ٣٠ سنة على انتهاء الحرب الأسبانية.

• هناك بعض المفردات التى تداولتها الألسنة خلال حرب الخليج ومنها كلمة (اختراق) وقيل بوضوح إن هناك اختراقا لبعض الأدباء وبعض الشعراء وبعض المثقفين الذين انحازوا إلى الجانب العراقى وآثروا الصمت!

هل..؟!

نزار:

تسألنى هل تعتقد أن الأديب أو الشاعر أو المثقف يمكن اختراقه. والله هذا يتوقف على الجهاز العصبى للكاتب وعلى جلده، فإذا كان جلده من الرقة والشفافية والأنوثة أمكن اختراقه وهذا لا يستحق كلمة أديب. الأديب رجل له عقل وإرادة وتماسك ولا يجوز بأى حال (اختراقه) ومن تحدثوا عن غزو ثقافى

وأننا مهزومون ثقافيا، غير صحيح، لا أحد يستطيع أن يغزو أمة أو عقلا أو قلبا أو فكرا إلا إذا كان هذا الفكر (منبطحا) أى انبطاحيا كما يقولون أو راغبا أو سريع العطب. لذلك لا أفهم أن يتطوع أحد ويقول إنهم (اخترقونى) لأنى آثرت الصمت لأن القضية ليست عملا مسلوقا!

وأعود مرة أخرى للمربد. لقد كان سوقا ثقافية ككل أسواق العرب التاريخية كسوق عكاظ الشهير. كنا نذهب ببراءة وطفولة. لم يكن أحد منا يفكر بأن الجهاز الإعلامى سوف يستغله أو يبتزه أو يجنده لخدمة طموحات النظام السياسية. وباستثناء قلة من الشعراء، احترفت مديح الخليفة العباسى وإحراق البخور له، فإن الشعراء الذين يحترمون أسماءهم وتاريخهم الشعرى، لم يتورطوا فى عملية تجميل النظام بل دخلوا إلى المربد وخرجوا منه وهم يحتفظون بكبريائهم وكبرياء الشعر.

● قصيدة مايا، عرضتنى للهجوم، البعض قالوا: كيف تنشر عملا جنسيا؟

نزار (بغضب):

هؤلاء لم يقرأوا القصيدة. ما يا، عبارة عن وردة جميلة سمحت لنفسى أن آخذ كاميرا تصوير وأصورها بكل فتنتها وكل أنوثتها دون إسفاف ودون هبوط.

مايا قصيدة حضارية ١٠٠ ٪. الحقيقة أنا صورت مايا ولم أخجل من تصويرى، لأننى لم أخجل أمام الجماهير ولا مايا اختلجت من التصوير! مايا ـ كما قلت لك ـ وردة جميلة، وكل الورود تحب أن تتعطر وأن تتكحل وأن تلبس خواتمها وأساورها، وهل تتصور أنه ليس هناك امرأة فى العالم لا تريد أن يكون لها صورة جميلة.

● هل تعتقد أن الشعراء يصنعون الديكتاتور؟

نزار:

نعم. لأن قصائد المديح والتبخير والتطبيل والزمير تساعد كثيرا على صناعة الأوثان. وكم من وثن صنعناه بالشعر والصحافة وبالأدب، دعنى أقولها بصراحة يجب ألا نبرىء أنفسنا ككتاب من صياغة أو صناعة الديكتاتور.

الديكتاتور نرجسى ويحب ذاته ويعتبر نفسه الأجمل والأعدل كما قلت فى قصيدتى السياف العربى يعتبر نفسه سيدنا يوسف عليه السلام. كل ديكتاتور لا يصدق إلا كلمة المديح، وحينما تقول له: لا ، فاقرأ السلام على روحك.

جزء كبير من المسئولية يقع على الشعوب وعلى الكتاب الذين هم طليعة ثقافية، فعندما يشترك المثقفون فى الكورس يتحولون الى نقابة للشحاذين!!

• بعد خمسين عاما من رحلة الشعر،

هل تتصور أن فن النقد كان على مستوى الشعر العربى؟

وهل استفدت من نقد ناقديك؟

نزار:

بكل صدق أقول لك إن النقاد لم يعلمونى شيئا. لم يكونوا لافتة تدلنى على الطريق، إنما كانوا حاجزا مليئا بالأشواك والمسامير وأكياس الرمل على الطريق، طريقى!

إن النقد العربى كالسلوك العربى، قائم على العصبية والتوتر والانفعال. إنه نقد «غرائزى» يستعمل الأنياب والأظافر فى التعامل مع الشعر.

إننا لا نقرأ النص الشعرى بحضارة وموضوعية وروح علمية، إنما نهجم على حياة الشاعر وخصوصياته بالهراوات والسكاكين حتى تتحول القصيدة بين أيدينا إلى جثة! وباستثناء بعض النقاد المنهجيين، فإن فن النقد لدينا تحول إلى حفلة ملاكمة يابانية، وأعتقد أن الصحافة اليومية غير المتخصصة لعبت دورا سلبياً فى تسطيح الشعر حتى جعلته مرتبطا بدواليب المطبعة وأرقام التوزيع وحصان السياسة والأيديولوجيات!

• ماذا يبرر كتاباتك النثرية «مائة رسالة حب»

هل هذا نهاية حتمية للشكل؟

نزار:

لا أعتبر أن النثر هو الشكل النهائي للشعر. وأنا لا أؤمن أصلا أن هناك نهايات مطلقة للشعر. أنا ضد الوثنية الشكلية بكل أنواعها، وأنا أرى أن المبدعين الحقيقيين بتجاوزاتهم اليومية لأنفسهم يستطيعون أن يهربوا من فخ الشكلية.

بالنسبة لى، فإننى منذ عام ١٩٦٦، وعلى وجه التحديد منذ أن أصدرت مجموعتى الشعرية «الرسم بالكلمات» أدركت أننى أنهيت دورة شعرية كاملة، وأن كل تحرك منى على المحور ذاته سيكون فيه مقتلى.. وبدأت أقلق وبدأت أخاف أن يسقط المسرح من تحتى. وبدأت أبحث وأشتغل على معادلات شعرية جديدة تنقذنى من قطار الشعر العثمانى المتدهور.

أول محاولة للخروج من قطار الأشباح، كان «كتاب الحب» وفيه حاولت أن أقص جميع النتوءات اللغوية فى بلاغتنا العربية، ثم كما أشرت كانت تجربة «مائة رسالة حب». باختصار أن يدى - دوما - موجودة فى الصلصال الساخن، ، أجد نفسى محاطا بتحولات تاريخية حضارية تدفعنى إلى أن أغير جلدى اليومى وأغير أصابعى إذا اقتضى الأمر وإلا سقطت تحت عجلات التاريخ!

• كيف يمكن للشعر ان يتوجه إلى المستقبل؟

نزار:

بالانقضاض والتجاوز وكسر الساعات الرملية التى جبست الزمن الشعرى العربى فى إطارات ومربعات ودوائر تشبه نقوش القيشانى المرسومة على حيطان حمامات دمشق. بالحرية وحدها، نخرج من مرحلة القيشانى ونكتب على جدران العصر، وبالحرية ندخل الى أرض الدهشة والمفاجآت حيث الجبال تتحرك باستمرار والأشجار تطول وتقصر على كيفها والأحجار تغير شكلها فى كل ثانية والأرض تضجر من كرويتها، والأرض حبلى بملايين الاحتمالات!

• هل يستطيع الشاعر ان يكتب كوكبا أو قوس قزح أو قاع بحر؟!

نزار:

نعم، يستطيع! ألا تشم فى «المقبرة البحرية» لفاليرى رائحة الأعماق؟ وفى شعر لوركا ألا تسمع هفيف مراوح الأسبانيات؟ وفى شعر ووردز وورث ألا يغلفك ضباب الجزيرة البريطانية وسماواتها الرمادية؟ و(عيون الزا) أليس قوس قزح رسمه أراغون بأجمل ألوان اللهفة؟

• هل ترحب بأن تحكمنا النساء؟

نزار:

ولماذا نرفض أن تحكمنا النساء؟ أليست صوفيا لورين أجمل وأعدل وأكثر ديمقراطية من الرفيق تشاوتشيسكو؟ أليست ميلينا ميركورى أكثر ثقافة من الرفيق ستالين؟!

● قل لى لماذا الكتاب والشعراء والمفكرون تدق عليهم «الجلطة».. وتزورهم وقد تقيم فى صدورهم أو قلوبهم أو عقولهم؟

نزار:

نحن ندفع ضريبة الإبداع، ليس هناك شىء بدون ثمن فى هذه الحياة. الشاعر أو الكاتب الحساس أو الروائى عبارة عن رجل انتحارى، ينتحر يوميا على ورقة الكتابة حتى لا يبقى سوى رماده. حين أصبت بالذبحة القلبية عام ٧٤ قلت إنى لست غاضبا فلابد أن أصاب بذبحة قلبية لأنى لست بقالا ولا موظفا ولا بائعا ولا قومسيونجيا ولا صرافا. هؤلاء ليس لهم هموم ولا يصابون أصلا بذبحة قلبية. أما حين أعيش فوق قنبلة موقوتة وأعيش على طرف زلزال فلا أستغرب زيارة للجلطة!

الإبداع هو حريق، مثلما يحترق الهندى على الطريقة البوذية ويدخل النار، نحن ندخل فى القصيدة أو فى الرواية أو فى الكتابة ونختفى. لذلك فأنا أحب أن أتحول إلى رماد.

الشاعر لا يكتب أصلا فى الغرف المكيفة الهواء. الشعر يكتب فوق خط الاستواء. الكلمة يا سيدى عندما تخرج من بين أصابعنا يخرج معها على الأقل١ ٪ من عمرنا. الكاتب المبدع يشيخ مع كل كلمة يكتبها. أنا أشعر أنى مع كل قصيدة أكتبها تروح من خلايا دماغى بليون خلية.، هذا ثمن عادل جدا لمن يريد أن يكتب!

● **هل يحبك كل النساء لأنك تقود ثورة تصحيح مسار باسمهن؟**

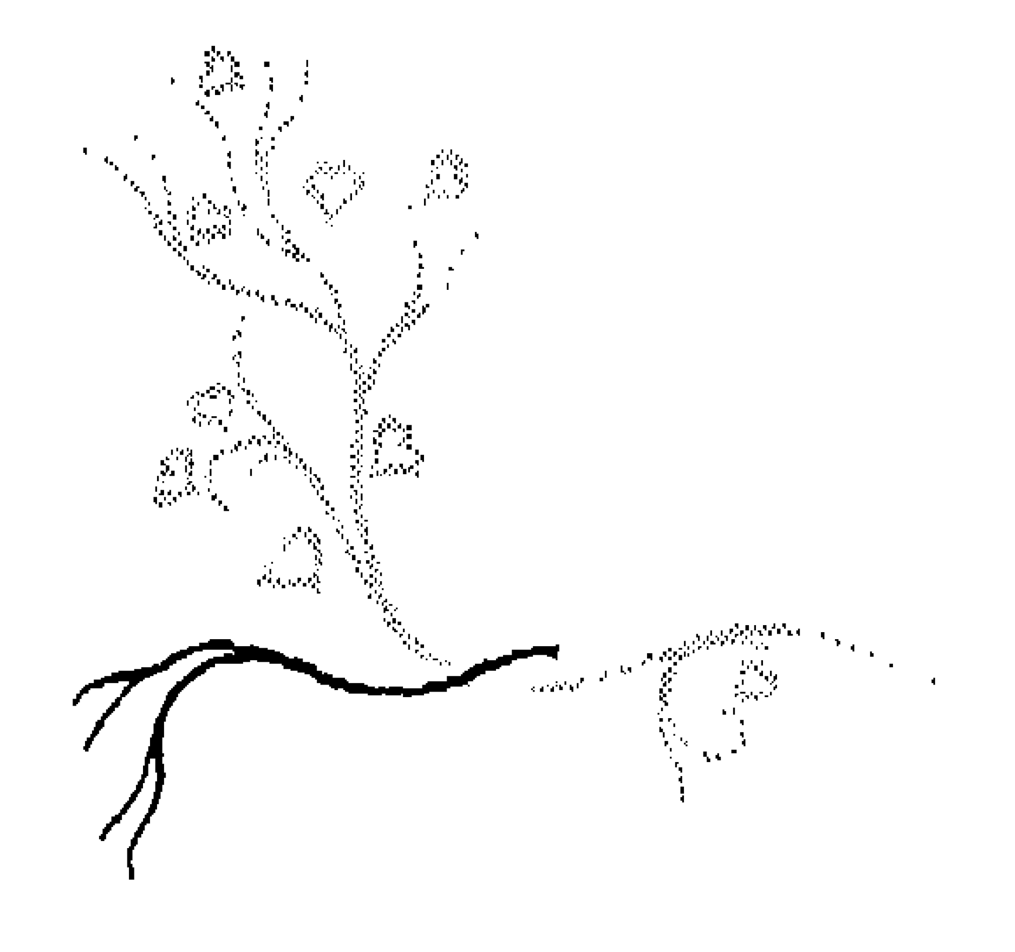
نزار:

ليس كل النساء! هناك نساء مستريحات لأوضاعهن كحريم يتعاملن مع الرجل بالأظافر والأسنان. ولكنى أعترف لك لم يكرهنى إلا القبيحات. كل امرأة قبيحة كنت غريمها. أنا أتكلم عن الجمال والضوء والنهود، والمرأة القبيحة، لا تحتمل، فأنا ضرتها، الذباب عندما يسلطون عليه روائح زكية يموت، مثلما أسلط الشعر الجميل على القبيحات. أنا لا أتصور أن هناك فراشة معقدة، ولكنى أتصور وجود خنفسة معقدة.

● **تعشق الجميلات؟**

نزار:

ليس هناك قانون للجمال، أكره ملكات الجمال فى العالم. إنهن لسن ملكى. لقد خلقوا لكل العالم. والمرأة التى أحبها. لى وحدى. ملكة الجمال مقاس خصرها ٣٢ وعرض صدرها ٩٠، هذه مقاييس للمهندسين فى بناء البنايات. كل ملكات الجمال، بتقرير لجنة حكام مثل لجان ترقية الموظفين! ما يلفت نظرى لامرأة ما، أنها تحبنى وتشعرنى برجولتى وأهميتى، وتصادق قصائدى ولا تغار منها!





الفرق بين السياسي والشاعر... كبير!

«الالتصاق الطويل يقتل الحب»

الفرق بين السياسي والشاعر... كبير!

الشاعر أخلد من السياسي، لأن الفن أبقى من السياسة . وعندما أحاور رجل سياسة ارتدى مثله اقنعة، لأنى اعرف انى ادخل فى مباراة.من يكسب فيها، ذلك الذى يحمل وجه مقامر، وجها باردا خاليا من اى انفعال. اما الشاعر «حين احاوره» اخلع كل الأقنعة واشعر اننا نجلس فوق ربوة على كتف نهر! وحين كنت اشارك نزار قبانى تلك الأمسية اللندنية، كنت اشعر أن الحروف حولنا تتراقص، فهذا مهرجان الكلمة! ومثلما اللوحة بحاجة إلى من يراها والتمثال بحاجة إلى من يلمسه والسيمفونية بحاجة إلى من يسمعها، كذلك القصيدة بحاجة إلى الاحتضان، ربما لأن الشعر أكثر الفنون حاجة إلى الانسان لأنه مشتبك بلحم الانسان وبفمه، بحنجرته، وأظن ان الشعر تقدم تاريخيا على كل الفنون الأخرى. فقبل أن يتمكن الانسان من تهذيب الحجر وتركيب الوتر، استطاع ان يجد الصلة بين ليله الطويل وبين شعر حبيبته فى أول قصيدة غزل!

رحلة نزار منذ أدمن السفر تغرينى بكتاب يضم حوارا واحدا معه وليس حديثا صحفيا فى بضع صفحات. منذ دأب نزار السفر وعرف دوار البحر صارت سطوح المراكب سريره ومقاعد الطائرات وطنه. وصار قلبه مليئا كحقيبة امرأة، وكرويا كالأرض ومزدحما كمدن الصين!

ولو قدر لى يوما أن أقنعه بفكرة الحوار الطويل، لقمت معه داخل رأسه من شمس القاهرة إلى مآذن استنبول إلى أمطار هونج كونج إلى نافورات روما إلى شحوب لندن إلى مرتفعات اسكتلندا إلى ثلوج موسكو إلى معابد تايلاند إلى حائط الصين إلى نبيذ الراين إلى مقاهى الرصيف فى سان جرمان الى ملاعب مصارعة الثيران فى اسبانيا إلى كهوف الغجريات فى غرناطة إلى حقول التوليب فى هولندا إلى كريستال البحيرات السويسرية إلى المظلات الملونة على رمال نيس.. الى قراميد البيوت اللبنانية الحمراء.. ولاأظن أن قاموس نزار قبانى الشعرى له جنسية، فهو ليس مصريا ولا دمشقيا ولا لبنانيا.. إنه ينتمى لدولة الانسان، حيث عاصمتها المشاعر وقراها الإحساس! ونزار (منشد) يطلق (أرغوله) بين الشرايين والأوردة. وأحيانا تقيم قصائده تحت جفن أو تنام على ساعد، ولا يريد نزار أن نقرأ قصائده ونقتنى دواوينه، انما يريد إصغاءنا لشعره فوق شفاه عبدالحليم حافظ أو نجاة الصغيرة، مُغَنًّى!

• لهذا سألت الشاعر عن إحدى بناته (أسألك الرحيلا) المغناة كيف استقبلت ميلادها.. و..؟

ولم يجعلنى نزار أكمل عبارتى بل تغيرت نبرته واكتست بالغضب:

- لم أكن أنتظر أن عملا كأسألك الرحيلا يمكن أن ينتظر ثلاث أو أربع سنوات ليرى النور. صار عندى إحباط وهبوط. تنقلت القصيدة بين الملحنين وأقفلت عليها الأدراج وأقيمت عليها الدعاوى. ثم جاء ميلادها فى وقت ميت. كيف فات على عبدالوهاب أستاذ التوقيت، الإفراج عن القصيدة أثناء حرب الخليج؟! كان الأمر كارثة كبرى! لا الوقت كان وقت طرب ولا وقت شعر ولا وقت غناء! فالعمل لم يأخذ مساحته ولم يظهر فى الوقت الذى كان ينبغى أ ن يظهر فيه. أنا أقارن بين عملين من أعمالى. قصيدة (أيظن) عام ٦٠ التى فجرت الدنيا العربية من المحيط الى الخليج، جاءت فى وقت كان العصر الذهبى لها. كانت حادثة شعرية لم يسبق لها مثيل. أما أسألك الرحيلا، فقد ولدت ميتة!

• وأسأل نزار: هل ظهر صوت عبدالحليم حافظ يحرضك على أن تعطيه قصيدة؟

قال بسرعة:

بكل صراحة لا. أنا افتقدت عبدالحليم الانسان ربما أكثر من المغنى. يا أخى عبدالحليم فنان، وشاعر. لم يستطع أحد سوى عبدالحليم أن يلتقط الأشياء الصغيرة والرقيقة والحميمة فى شعرى مثلما استطاع هذا الرجل أن يلتقطها، لذلك هو الذى أشار على القصيدتين (قارئة الفنجان، ورسالة من تحت الماء) منذ أن قرأ أعمالى الشعرية التى قدمتها أنت له فى أحد أعياد ميلاده باعتباركما كما علمت أبناء برج واحد هو الجوزاء! ولم تظهر لى أعمال أكثر بهجة وجمالا من هاتين القصيدتين. لقد رأيت عبدالحليم وهو يغنى قارئة الفنجان قبل أن يموت. كان يغنى بجهازه العصبى، بعينيه، بقلبه، بشرايينه، لم يبق شىء منه إلا وتحول الى رماد وهو يغنى. لذلك سيمر وقت طويل طويل، وأؤكد على كلمة طويل قبل أن يأتى مغن مثل هذا (الشاعر)!

قلت لنزار:

- **أنت أستاذ من أساتذة العشق، فهل تعتقد أن العاشق الذكى هو الذى يعرف الرحيل فى الوقت المناسب حتى لا يتحول الحب إلى وظيفة أو نوع من أنواع الخدمة العسكرية؟**

ضحك نزار للتشبيه الأخير وقال بدون تردد أقول (نعم). فالعاشق الناجح هو الذى يتقن حساب المسافات، والمرأة الذكية هى التى تعرف أن تقول لحبيبها

وهى فى ذروة أشواقها (أسألك الرحيلا) .

قلت همسا:

● **الالتصاق الطويل يقتل الحب؟!**

قال يكمل عبارتى:

لأن العناق المتسمر يخنق الأنفاس!

● **لا أظن أن الأمر يحتاج إلى تكتيك وأجازة عاطفية؟**

قال نزار صائحا:

الاجازة العاطفية هى بيت القصيد. إنها ضرورية كالاجازة الإدارية والاجازة الصحية واجازة الولادة التى تأخذها المرأة الحامل لتريح جسدها وأعصابها من رائحة الرجل ومن غلاظاته!

ثم اعتدل نزار فى جلسته وتنحنح مثلما يفعل عبدالوهاب وقال: اسمع ماذا أقول فى قصيدتى (النساء والمسافات) إنها تصوير دقيق لهذا الموقف.

اتركـــينى .. حـــتى أفكر فـــيك

وابعـــدى خطوتين كى اشـــتـــهـــيك

لاتكونى حبيبتى رغم أنفى

فالبقاء الطويل لايبقيك

ما تمنيت أن أحيلك زرا

فى قميصى أو معطفا أرتديك

انهضى عن تنفسى لحظات

فالحصار العقيم لا يجديك

أنت مثل النبيذ يحتسى برفق

فلماذا بلحظة أنهيك

قلت لنزار:

أنت الآن فى مرحلة النضج الرجولى ولعلك بعد ٥٠ عاما من الشعر فهمت المرأة..

أجاب الشاعر:

أولا، أنا لم أفهم المرأة ولا أظن أنه مطلوب من الشاعر أن يفهم المرأة، يجب أن تظل وهما جميلا يغلفها غموض جميل. وأنا الآن مثلما تفضلت فى مرحلة

نضج وصرت أشد حكمة وأكثر حضارة. أنا الآن أكثر تفهما لطبيعة الأشياء. انتهى عصر الانفعال السريع والانبهار السريع ولم أعد أؤمن بجمال يبهرنى للحظة الأولى. أنا الآن يبهرنى الحضور الأنثوى، الفكر الأنثوى، الذكاء الأنثوى، المرأة العربية - صدقنى - بحاجة الى أن تقدم نفسها للرجل العربى تقديما جديدا. المرأة ليست فستانا. وأنا قلت مرة إن أسوأ مصادر الشعر هى عارضات الأزياء، أنا لا أبحث عن موديل أو ملكة جمال. أبحث عن امرأة تقيم معى حوارا حضاريا. اليوم وأنا أكتب عن عاشقين فى كافتيريا لابد أن يعبر بينهما صاروخ سكود أو باتريوت. كيف نستطيع أن نهرب من التاريخ، بعض النساء يعتبرن الكوافير هو وزارة ثقافتهن.. والكتاب الأجمل عندهن زجاجة عطر..

قلت لنزار قبانى:

- **أعطاك عبدالحليم حافظ الشهرة أكثر حين غني قصائدك؟**

رد نزار وقال:

عندى رأى لا أخاف أن أعلنه!

قلت: كلى إصغاء.

قال نزار:

الموسيقار محمد عبدالوهاب هو الذى جعل أمير الشعراء أحمد شوقى شهيرا ومقروءا على امتداد الوطن العربى، وليس العكس!

(ظهر على وجهى علامة دهشة).

عبرها نزار واستطرد يقول:

لولا محمد عبدالوهاب لبقيت (يا جارة الوادى) و(علموه كيف يجفو فجفا) و(ردت الروح على المضنى معك) و(ياناعما رقدت جفونه) و(مضناك جفاه مرقده) و(ياشراعا وراء دجله) مطروحة مع ألوف الدواوين على سور حديقة الأزبكية!

(ظهرت علامة تعجب على وجهى) .عبرها نزار واستطرد يقدم حيثيات رأيه:

لقد كان شوقى يشعر فى أعماقه أن شعره (المكتوب) سيكون جزءا من تراث عصر النهضة، ولكنه كان يتطلع الى ما بعد عصر النهضة، بل كان يريد أن يكون موجودا فى كل العصور.

وعندما استمع أمير الشعراء للمرة الأولى إلى صوت محمد عبدالوهاب الجميل، الجديد، الواعد، أدرك بنبوءة الشاعر أن هذا الصوت سيكون جسره إلى

الجماهير ومفتاحه إلى الأزمنة القادمة.. إنها صفقة تاريخية مدهشة.. ربح فيها محمد عبدالوهاب كنزا من القصائد وثروة شعرية لا تقدر بثمن.. وضمن فيها أمير الشعراء أحمد شوقي كرسيا دائما في كل العصور!

قلت لنزار:

أريد أن أعرف الفرق بين الشاعر والزعيم؟

لقد رأيتك في أمسيات شعرية وعندما دخلت القاعة احتفت بك الأكف تصفيقا وكأني أري زعيما أمامي؟

قال الشاعر:

الزعماء يأتون ويذهبون، أما الشاعر فهو باق على هذه الكرة الأرضية ما بقيت تدور.

هل تظن أن المتنبي مات؟ هل تظن أن شكسبير مات؟ هل تظن أن اللورد بايرون مات؟

أنا أقرأ المتنبي الآن وأشعر أنه لايزال في كل مجلس. نحن نستشهد بشعر المتنبي وجارسيا لوركا وعمر الخيام وغيرهم هادول - مفيد - محفورين في شرايين الأرض وجذورها. كلما طلع الربيع، يطلعون معه!

سألت نزار:

مدرسو اللغة العربية وآدابها يلعبون دورا خطيرا فى فتح شهية الطلاب الأدبية أو سدها. فربما جعلها ساعة تعذيب وربما حول النصوص الجامدة الى نزهة فى ضوء القمر. أنت ماذا كان نصيبك؟

قال نزار:

إننى أدين لمدرس اللغة العربية الأول خليل مردم بك بهذا المخزون الشعرى الراقى الذى تركه على طبقات عقلى الباطن. وإذا كان الذوق الشعرى عجينة تتشكل بما نراه ونسمعه ونقرؤه فى طفولتنا، فإن خليل مردم كان له الفضل العظيم فى زرع وردة الشعر تحت جلدى وفى تهيئة الخمائر التى كونت خلاياى وأنسجتى الشعرية!

قبل أن أبدأ فى إلقاء تساؤل جديد، بادرنى نزار بسؤال لم أتوقعه.

- **وأنت ماذا فعل بك مدرس اللغة العربية؟!**

قلت على استحياء:

لست شاعرا وإن حاولت وأنا تلميذ فى مدرسة بنى سويف الابتدائية أن أكتب شيئا أقرب إلى الشعر فقال (السيد أفندى عبدالله مدرس اللغة العربية، أتذكر

الاسم جيدا) أمام الفصل (شعرك ركيك وأسلوبك وخطك أكثر ركاكة) واستطردت ونزار يصغى (وأظن أن هذه العبارة القاسية التى أدمتنى هى التى صرفتنى أن أقرأ بنهم ويكون لى أسلوب مقبول، ثم بذلت جهدا مضنيا لأحسن خطى السيء!)

وضحك نزار وقال:

(لقد أردت أن تبعث لسيد أفندى أنك تجاوزت العقدة) وأومأت برأسى وهمست لنفسى (أين سيد أفندى الآن) ؟ جاءت أكواب الشاى الانجليزى الجميل الايرل جراى الذى أفضله، وبدأنا نرشفه فى هدوء.

عدت أسأل :

- **كيف تنحت كلماتك؟**

من أين تأتى مفرداتك الشعرية.

إن أبجدية نزار قبانى صارت محفوظة، ولغتك تتسلق الأصابع وتتسلل للحناجر وتنام على أرفف المكتبات!

قال نزار:

أنا لا أعـرف من أين تأتى مـفـرداتى الشـعـريـة! لا أعـرف! أنا مـثل راكب الدراجة، من الصعب أن أشرح لك كيف أركبها. نحن نؤدى عمليات الإبداع بشكل عفوى ولا نعرف. يعنى أنا لو فكرت كيف تأتى القصيدة، ما كنت كتبت شيئا، إنها خلطة كيميائية نفسية تاريخية، وأحيانا أقول: لست وحدى أكتب القصيدة!

قاطعت نزار بسؤال:

- **هل يشاركك جمهورك فى كتابة قصيدتك؟**

قال نزار بسرعة:

إذا كنت تعنى بالمشاركة أن هذا الجمهور يجلس على أصابعى عندما أكتب، فهذا غير صحيح، أما إذا كنت تعنى بالمشاركة أنى أستقطب هموم هذا الجمهور وانفعالاته وأتحسس بها كما تشم الخيول رائحة المطر قبل سقوطه فهذا صحيح. أنا أقف على أرض التوقع والنبوءة! أنا أشعر أن العصور كلها تكتب معى. فأنا أحمل تراثا فى أعماقى بالإضافة الى تجربتى الشخصية. أنا أشعر أن هذه الخلطة الإبداعية مجهولة المنبع! كل الذى أفهمه أن وظيفة الشاعر أن يحرق خيمة أهل الكهف ويزرع الألغام تحت قطار عصر الانحطاط. ولعل من أهم

انجزاتى أنى قلبت طاولة اللغة وجعلت الشعر جمهورية شعبية ديمقراطية.

قلت لنزار:

• **إنك شاعر تصادمى؟**

قال:

هذا صحيح إذا لم أجد من (أتخانق) معه، تخانقت مع ورق الكتابة.

قلت:

• **قصائدك السياسية منها. قصائد انتحارية؟**

ابتسم نزار وقال:

خلال ٥٠ عاما، كتبت ألوف القصائد الانتحارية ولم أفكر أن أؤمن على أصابعى لدى أى شركة تأمين. لا قيمة لشاعر لا يحدث شغبا داخل اللغة وشغبا فى قشرة مجتمع التخلف! يا أخى أصبح عرب المنفى أكثر من عرب الداخل، حتى صار يحق لهم أن يحصلوا على مقعد فى هيئة الأمم المتحدة! أنا منقلب على كل شىء حتى على لون عينى وفصيلة دمى! والشاعر - يا سيدى - الذى يقبل أن يدخل بيت الطاعة، يسخر بكارته وبكارة الشعر.

قلت لنزار:

• كشف لى الشاعر محمود درويش وأنا أحاوره مرة فى عمان عن شىء خاص فى حياته قال: ياعزيزى مفيد حياة الشاعر مع شاعرة فى بيت واحد كارثة كبرى)؟

رد نزار:

هذا صحيح. لا يمكن أن تضع النار على النار وتطلب أن يتقطر منها الماء. الشاعر برق والمرأة الزوجة الشاعرة برق فتصور حين يتزوج البرق من البرق، لن يكون أولادك سوى حرائق، وأنا مع محمود درويش تماما. فقد كانت بلقيس تصادق قصائدى.. وتدلهنى!

كانت بلقيس تعرف جيدا أنه حين يطلب الى أن أختار بين المرأة والقصيدة، أختار القصيدة بدون تردد!

قلت لنزار:

• هل سقطت بيروت منك سهوا؟

قال بغضب: لا يسقط الزمن الجميل منى مطلقا! ولكن الوقت احترق وأوراقنا احترقت، وضفائر حبيباتنا احترقت، حتى الماء احترق فى بيروت. لا يوم فى بيروت. هناك (ثوان) فى بيروت. اليوم التوقيتى الذى تعارفوا عليه. انكسر

الزمن اللبنانى، انكسر.

قلت لنزار:

● **لك ثلاث قصائد تحمل ثلاثة أسماء، عبدالناصر وتوفيق وقصيدة بلقيس؟**

قال نزار:

القصائد تتجاوز الأشخاص. القصائد صارت (حزب معارضة) صارت (قضية).

● **قلت مرة. يا أستاذ نزار. فى إحدى قصائدك؟**

سيدتى
عندى فى الدفتر
ترقص آلاف الكلمات
واحدة.. فى ثوب أصفر
واحدة.. فى ثوب أحمر
يحرق أطراف الصفحات

أنا لست وحيدا فى الدنيا

عائلتى.. حزمة أبيات!

• ألم تعرف طعم الوحدة أبدا؟

قال نزار:

عرفت الوحدة بعد أن رقد جثمان بلقيس تحت الحطام.

قلت لنزار:

• نكسة يونيو هزت الانسان العربى وفجرت نغما فى أبجديتك وأحدثت فيما أتصور زلزالا على دفاترك وانطلقت قصائدك تحمل لغة بمستوى الألم تتدفق منها رائحة الحرائق؟

قال نزار:

من تحت خرائبنا النفسية خرج أدب حزيرانى.. من حناجرنا الممتلئة بالملح والخيبة خرج. من عظامنا المطحونة وأحلامنا المطعونة وشفاهنا التى شققها العطش خرج!

سألت نزار عن قصيدته (السيرة الذاتية لسياف عربى) فانطلق ينشد:

أيها الناس

أنا الحجاج.. إن أنزع قناعى تعرفونى

وأنا جنكيز خان، جئتكم

بحرابى وكلابى وسجونى

لاتضيقوا أيها الناس ببطشى

فأنا أقتل، كى لا تقتلونى

وأنا أشنق، كى لاتشنقونى

وأنا أدفنكم فى ذلك القبر الجماعى

حتى لاتدفنونى

ثم رشف نزار من كوب ماء أمامه رشفة واستطرد (يغنى)

أيها الناس

أنا المسئول عن أحلامكم، إذ تحلمون

وأنا المسئول عن كل رغيف تأكلون

وعن الشعر الذى - من خلف ظهرى - تقرأون

فجهاز الأمن فى قصرى يوافينى

بأخبار العصافير وأخبار السنابل

ويوافينى، بما يحدث فى بطن الحامل:

قال نزار:

الكلمة ملكة،

ولكن بعض الأنظمة تريدها (شغالة) وأنا يا سيدى لا أشتغل عند أى سلطان، فكل السلاطين يشتغلون موظفين لدى شعرى!

ماذا يبقى من الكاتب حين يصير عضوا فى نقابة الشحاذين؟!

أنا شاعر لا أعترف بقصيدة لى، لا تفتح ثقبا فى غلاف الأوزون!

قلت لنزار قبانى:

• عندما أنظر فى شعر رأسك الثلجى اللون، أحس أنك عرفت أكثر من غيرك

أشياء منظورة وأخرى غير منظورة بحكم سباحتك ضد التيار. فأنت الذى بعثت الحياة فى أوصال الحروف، فتبعثها صبية تضج بالحياة،

وأنت الذى برهنت لنا على قدرة لغتنا للنماء والتطور واستيعاب كل التجارب الانسانية التى يموج بها عالمنا الداخلى. قل لى خلاصة التجربة مع المرأة؟!

قال نزار:

المرأة تتزوج الغول بعد أن تستشير النجوم والأبراج وفناجين القهوة، وبعد أن يأكلها الغول، تخرج من بين أضراسه مرة ثانية وتتزوجه!

قلت:

خلاصة التجربة مع الكتابة؟

قال نزار:

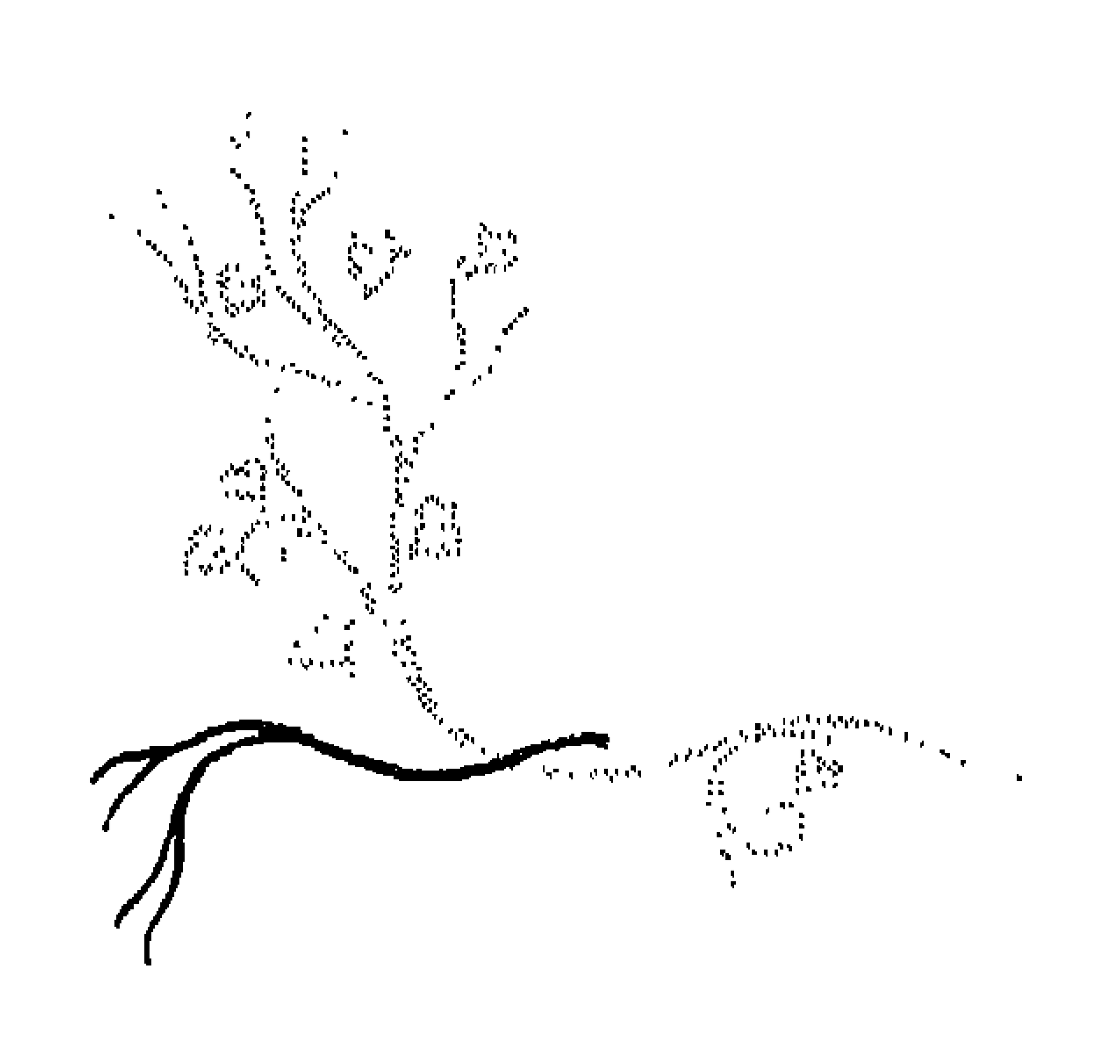
إن رضى الكاتب أن يكون مرة دجاجة. تعاشر الديوك أو تبيض.. أو تنام فاقرأ على الكتابة، السلام!

سألت نزار قبانى:

• هل تشعر بالزهو لأنك شاعر مقروء ومسموع ومرئى؟

قال (بزهو) :

إذا كان جورباتشوف قد نادى منذ سنوات بالبريسترويكا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فإن التغييرات التى أحدثتها فى لغة الشعر منذ خمسين عاما هى أيضا بريسترويكا نزارية؟



• من قصائد نزار قباني بخط يده ...
يقلمه، الذى عانق أصابعه.
وما عادت هذه الأصابع تنسخ ذلك الهذيان الجميل الذى طالعنا على مدى نصف قرن.
• سكت نزار .. ولكن صوته يتردد فى كل البقاع

إشتقتُ أنتِ المكانْ !!

إشتقتُ أيّ مكانْ

فنجانُ [illegible] أو شقّة يطرحها الرمل..

أيّ مقهى [illegible] داخل كالسيف في البحر..

اشتقتُ أيّ مكانْ..

عندما تمطر في بيروت.. أحتاج الى بعض الحنانْ

فادخلي في معطفي المبتل بالماء (استحمّي في كرياتي...)

X ادخلي في كنزة الصوف.. وفي جلدي، وفي صوتي..

X اشتري لي صحف اليوم..

وأحلام رصاص

ونبيذاً .. ودخانْ..

كلي من عشب صدري كحصان

واسكنيني وطناً في معطف الغيم الرمادي..

عانقيني في الليالي.. [illegible]

اعرفي كالذئب في منتصف الليل..

أحبيني قليلاً..

واكسري أنظمة السير قليلاً..

واتركي لي يدك اليمنى قليلاً..

قدريه أنتِ إلى أين ؟!

فمكان الحب في بيروت مثل الله في كل مكانْ !..

تخطيط أوّلي

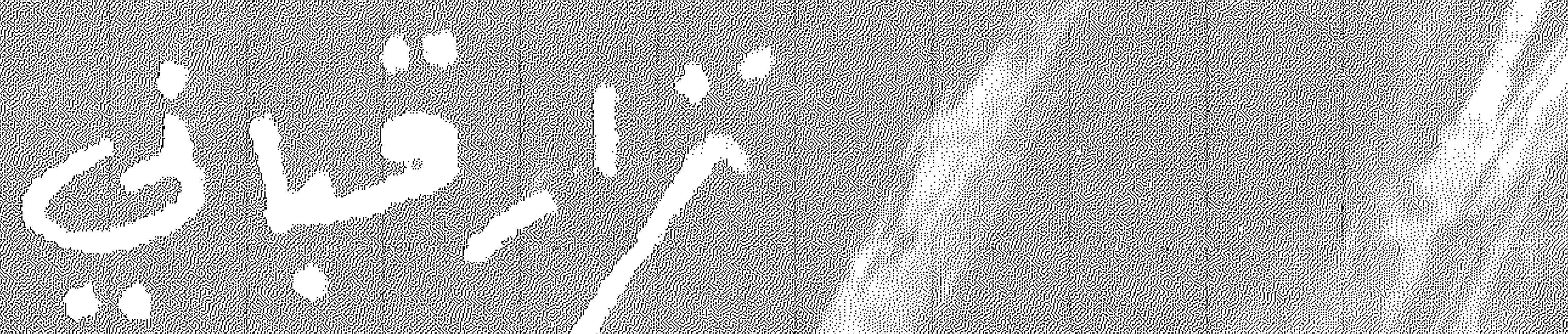
لقصيدة (بيروت والحب والمطر)

(١)

سنبقى
سنةً أخرى.. على هذا السريرْ
الشاي.. والزبدة.. والجنس
على نفس السريرْ
سيبقى جسدي مثل حصانٍ عربيٍّ
يرقصُ فوق المرايا.. وأنا أعرفُ توقيتات الأعاصير..
ونقاط الضعف في جسدك..
ومساحات البيانو..
وصناديق العلب
إنني آمنتُ يا سيدتي..
أن شكل الأرض شكلٌ كرويٌّ
إنني أحفظ جغرافية النهدين يا سيدتي
عن ظهر قلبْ..
(والدبابيس التي ترقد في شعركِ)
وأنا أعرفُ حتى....
x عدد الخيطان في هذي الشراشفْ!!
x وأنا أعرفُ طعمَ العرق المالح
x والجرحَ الطفولي على ركبتكِ اليسرى
وهذا الوترَ النامي.. على سلسلة الظهر..
كأسلاك الحرير..

تخطيط أوّلي
لقصيدة (الإلتصاق)




نزار قباني

نزار قبانى

نشرت فى جريدة «العالم اليوم» ٤ مايو ١٩٩٨

الشاعر كائن استثنائى يستثنى من ذلك موقفه من الموت!

خمسة وسبعون عاما.. فى برارى الحياة، منها خمسون عاما مطرزة بالشعر، وأطفأ القنديل كلمات أربع «نزار فى ذمة الله».

رحل الشاعر الذى أسعد القلوب بمرض القلب!

بكاه بحرقة العشاق فى كل مكان، وانتحبت القصائد واضربت الدواوين الشعرية عن الطعام، ونكست جمهورية الحب الديمقراطية أعلامها وأصدرت بيانا تعلن فيه أن نزار قبانى لم يمت لأن الشعراء لا يموتون، إنهم أحياء فى الصدور يسكنون الشرايين والأوردة. اعتصمت النساء فى بيوتهن، ورفضن الخروج لأن «أكبر المحامين» قد مات، كانت المرأة عند نزار «قضية» يدافع عنها باستبسال ويريدها مواطنة من الدرجة الأولى، لا تابعة أو دمية فى البيت تقدم لشهريار وجبة شهية فوق الفراش.

استراح شعراء حقدوا على نزار واتهموه ظلما أنه شاعر «التنهدات والحلمات» لأنه كان الشاعر الأكثر شعبية ولأنه كان يملك - فى مكان ما غير معلوم - مناجم كلمات يصوغها وينحتها ويرصع حروفها بمصنعية نزارية، تتلقفها الدواوين بين ذراعيها بحنان ونبحث عنها فى المكتبات، نفتش عنها، ومن غيره كان يجدل من تفاصيل العشق الصغيرة ضفائر هوانا ويمشطها فنختال وتهتز خلجاتنا برعشة حار الأطباء فى تفسيرها!

ويا سيدى القائد السورى حافظ الأسد إذا كنت أمرت بدفن جثمان شاعرنا العربى السورى فى تراب دمشق وغوطتها فهو مدفون أيضا فى كل غوطة عربية، بل لست

أبالغ لو قلت إن نزار قباني يرقد تحت شرفة كل عاشق وعاشقة، لقد كان يشاهد الحكاية منذ كانت نظرة حتى صارت أرقا بين الجفون ووجعا بين الضلوع.

صوتك - يا شاعرنا - في أذني وأنت تتلو قصائدك وكان هديرك كالنزيف الروحي المستحب، وصفوك يومئذ بأنك «الممثل» لأنك القادر أن تسقي حروف قصائدك الإحساس والدفء. وصفوك بأنك «النرجسي» ونسوا أن أنصاف المواهب يستنشقون بجسارة نصف أكسجين الدنيا.. وكيف لا يزهو «أمير الشعر والشعراء» بنفسه؟ صاحب اللغة النزارية في الشعر، الساكن في الوجدان العربي، المغناة قصائده من حناجر الطرب، المحرض على الحب كما قال لي الشاعر «الماغوط» يوما: الذي خلص اللغة من الرسميات، المؤسس لجمهورية من الشعر قوامها مائة مليون عربي.

الناطق بلسان بلغة الناس فأحبه الناس، الطفل الذي لعب بكرة الشعر مع الأطفال بعد أن كسر صرامة القواميس وجفاف المعاني، سيحزن على رحيل نزار «رفقاء الكلمة» الذين أحبوه شاعرا وإنسانا: غادة السمان، سعاد الصباح وفيروز ونجاة: سيذرفن الدمع بحضارة دون أن يولولن، فقد علمنا نزار أن نحزن بحضارة، وستبكيك بلقيس - ياأمير الشعر - في قبرها الذي سبقتك إليه وتواعدتما على اللقاء يوما، وسنعيد قراءة قصائدك من جديد من طفولة نهد إلى هوامش على دفتر النكسة، ومن الحب إلى السياسة ومن ارتعاشة القلب إلى ثورة العقل، كنت تعتذر لنا بشعرك عن ركاكة الحياة وبعض قبحها، فكل قصيدة كانت «مزهرية» في جنبات نفوسنا وعطرها لا يذهب، يا من كسبت حب وتقدير ملايين الناس وخسرت بعض نقاد الحنطة الذين أنكروك!

ويمضي نزار إلى الأرض التي أنجبته ولا يبقى سوى وسيلة حضارية للاحتفاء بنزار، غير السرادقات الكلامية، «جائزة» تحمل اسمه تذكرنا دائما أنه لا شئ يصعد بالفنان إلى مرتبة المصداقية سوى الموهبة القذيفة والموت إخلاصا للشعر.


نم في سلام، أيها العازف الحنون على أوتار القلوب والمغني العذب في الشوادر والأمسيات.. نم في سكون، فقد عشت دربا من المعارك كان سببا وراء العطب الذي أصاب قلبك.

يكفيك يا نبي الحب، أننا ورفقاء جيلي، كنا نستعير عبارات من قصائدك نكتبها لحبيباتنا، كنت المتحدث الرسمي بلا منازع للحب، وتربينا على دواوينك وتدفقت الدماء بحرارة يوم اكتشفنا المغامرة الأولى مع.. امرأة! نم إلى جوار ابنك توفيق ورفيقة دربك بلقيس، فقد جئت وأهديتنا خدمة ضوء ساطعة.. بددت عتمتنا، ومضيت.

لكن بعض الموتى، أحياء.. وبعض الأحياء موتى بالفعل!

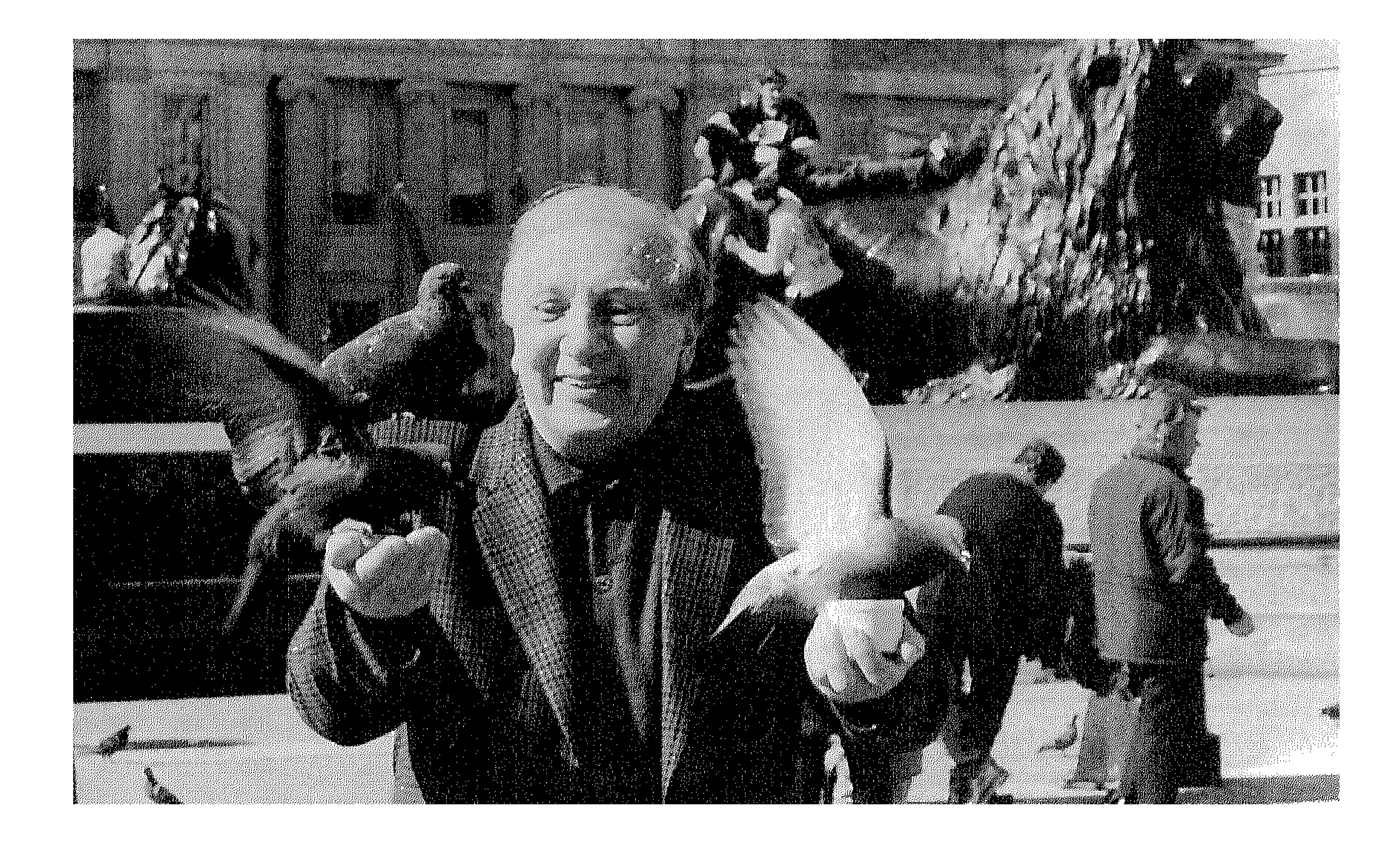
رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٨/٨٥٦٨


I.S.B.N 977- 01 - 5768 - 6





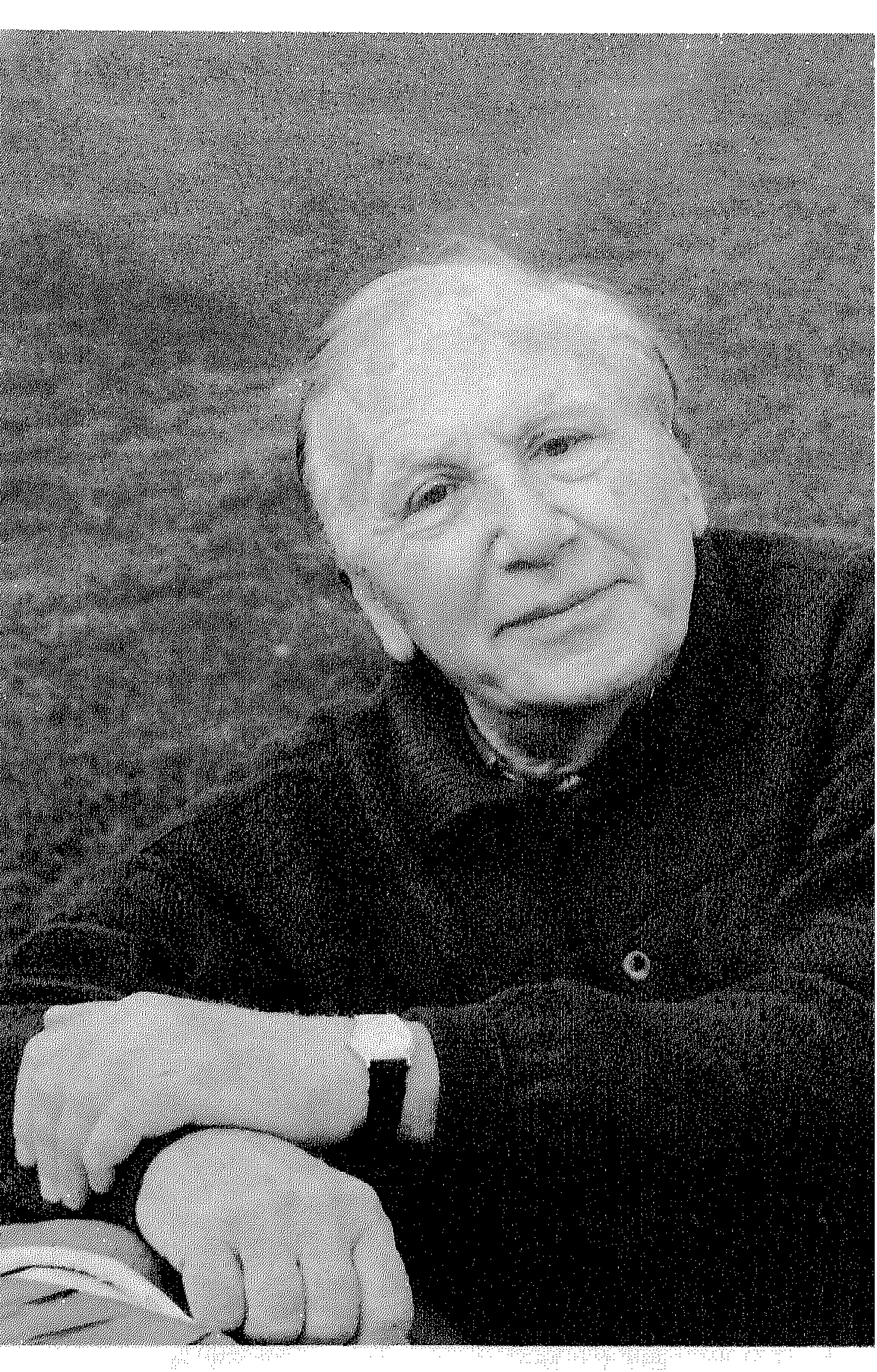


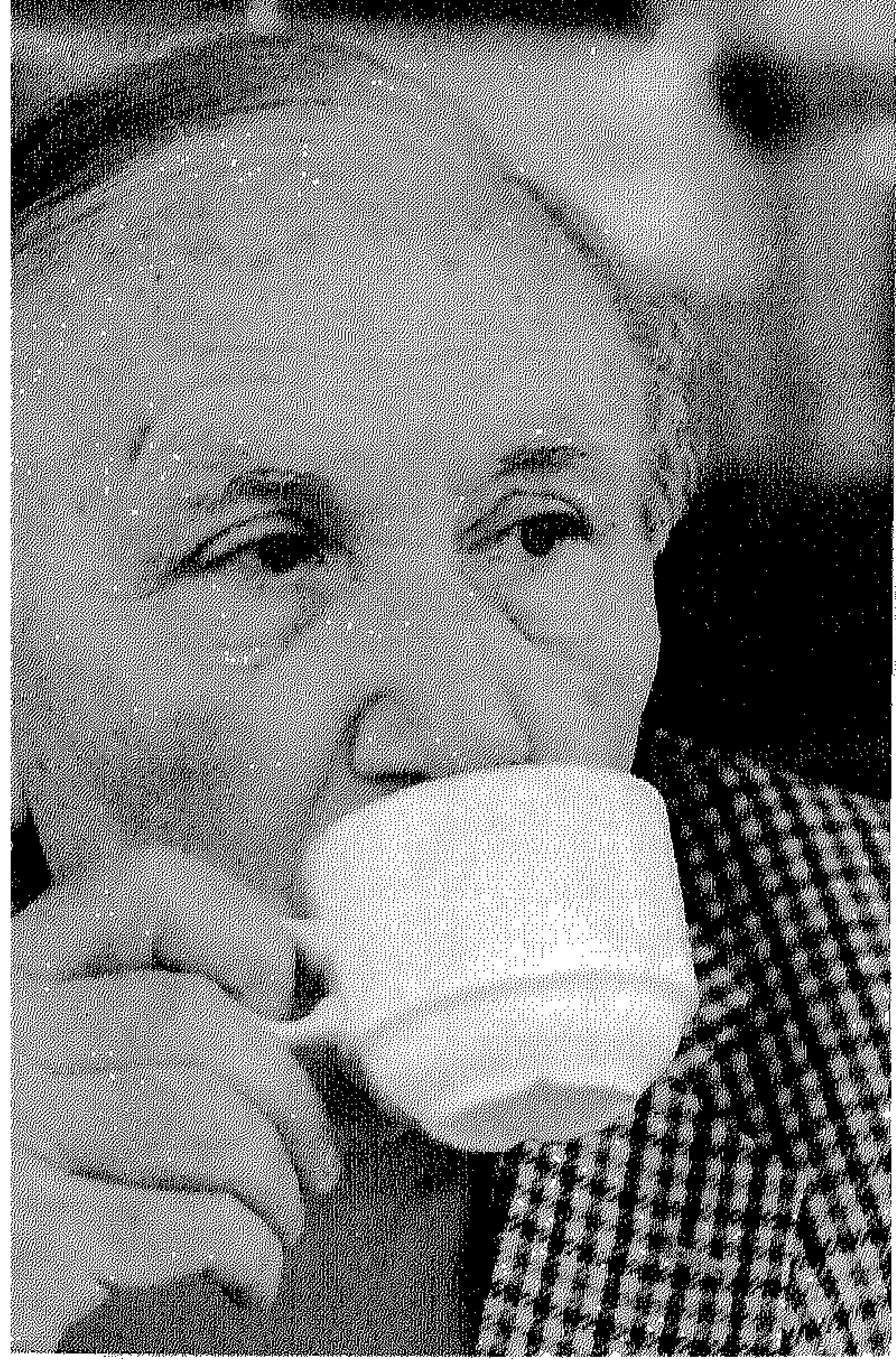






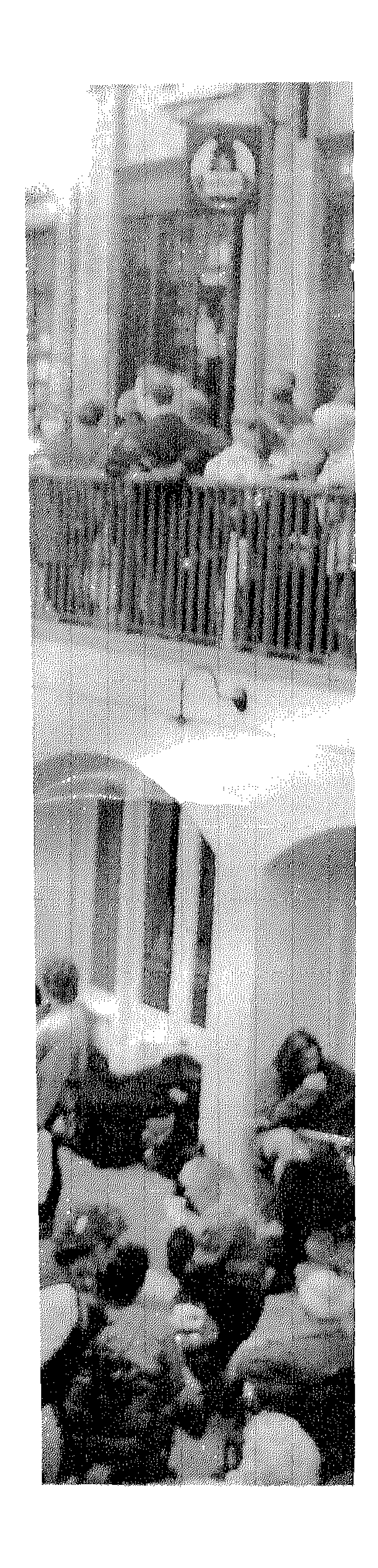






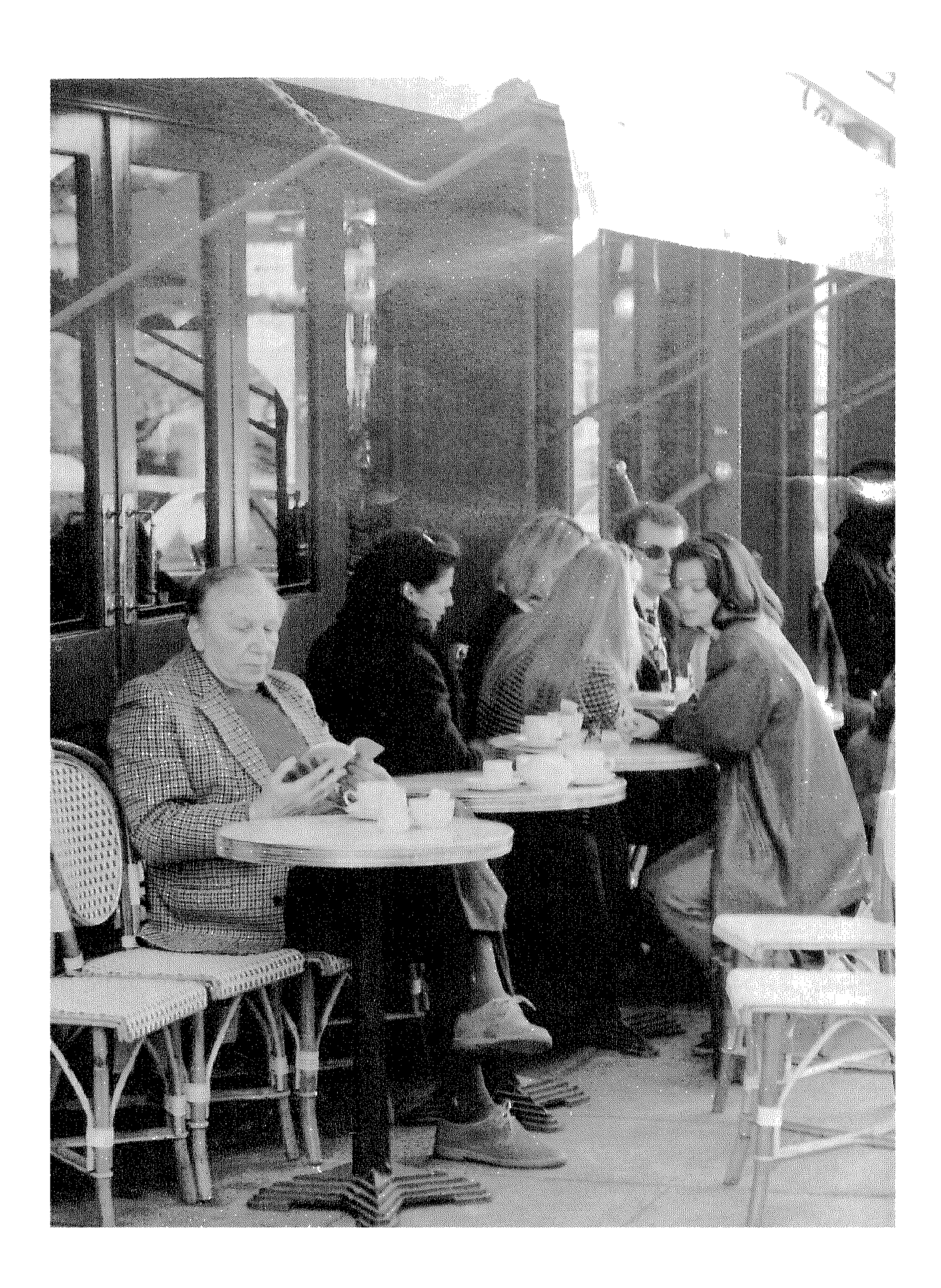


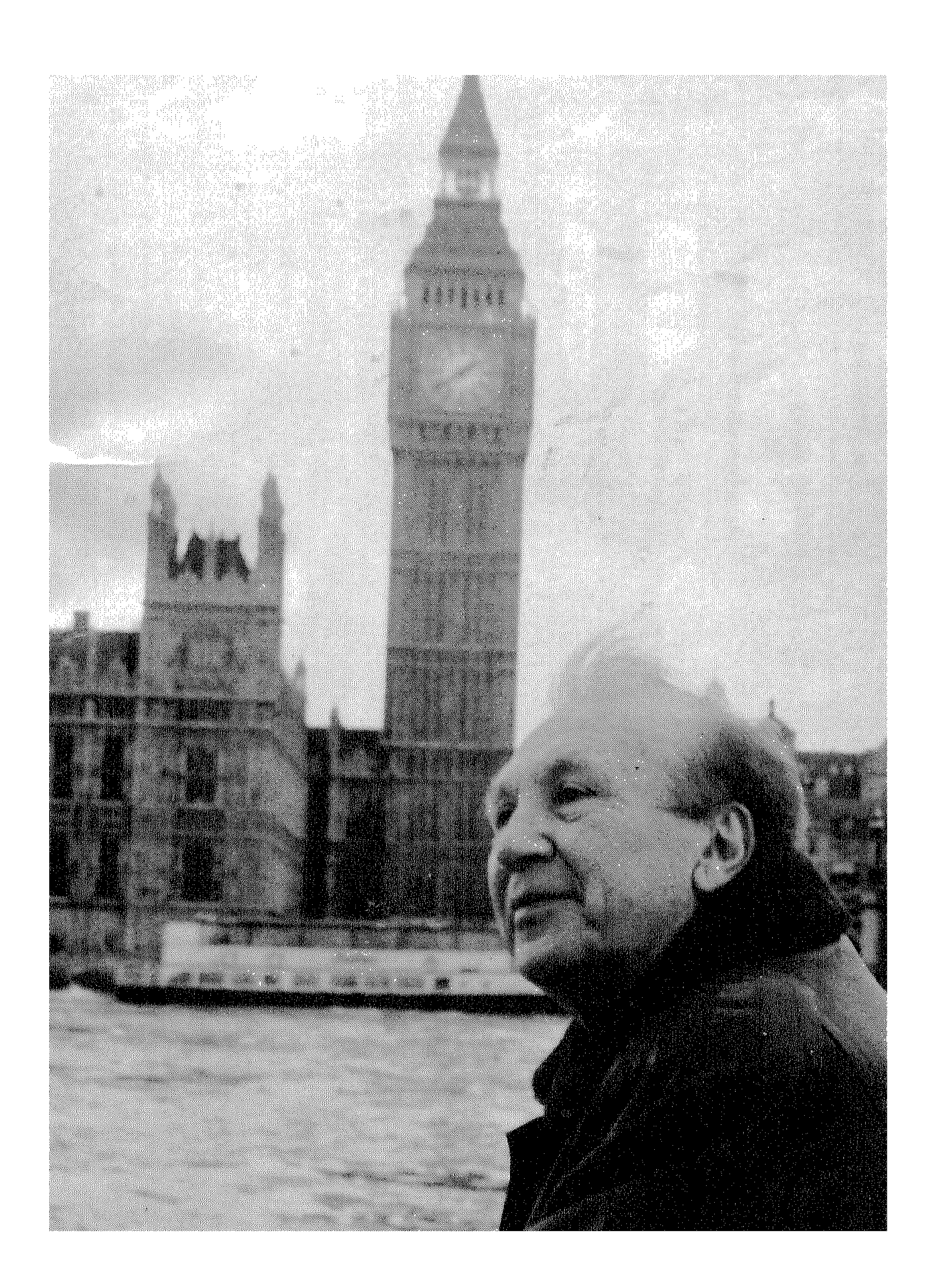















MANSIONS

الحوار .. بالصور

عدسة : فاروق ابراهيم



إنى الدمشقى الذى احترف الهوى

فاخضوضرت لغنائه الأعشاب

احرقت من خلفى جميع مراكبى

إن الهوى أن لا يكون اياب

أنا فوق أجفان النساء مكسر

قطعا فعمرى الموج والأخشاب

نزار قباني

السعر: ١٢ جنيهاً